التوحيد

مجلة إسلامية - ثقافية - شهرية
تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية

السنة الثانية والثلاثون - العدد السادس - جمادى الآخرة ١٤٢٤ هـ - الثمن ١٠٠ قرش

الأذكار بين الجنون والاستهتار

أحكام في البيوع والخِطبة

المرأة بين صيانة الإسلام وعبث اللئام

نحو خطاب ثقافي للنيل من الإسلام

التوحيد

• صاحبة الامتياز •

جماعة أنصار السنة المحمدية

المشرف العام

د. جمال المراكبي

اللجنة العلمية

زكريا حسيني
جمال عبد الرحمن
مجدي عرفات

التنفيذ والطباعة

مطابع الأهرام التجارية - قليوب - مصر

بسم الله الرحمن الرحيم

صورة الغلاف

السلام عليكم

أنواع الكسب

الدراهم أربعة : درهم اكتسب بطاعة الله وأخرج في حق الله ؛ فذاك خير الدراهم، ودرهم اكتسب بمعصية الله وأخرج في معصية الله فذاك شر الدراهم، ودرهم اكتسب بأذى مسلم، وأخرج في أذى مسلم فهو كذلك ، ودرهم اكتسب بمباح ، وأنفق في شهوة مباحة، فذاك لا له ولا عليه.

هذه أصول الدراهم ويتفرع عليها دراهم أخر: منها درهم اكتسب بحق وأنفق في باطل، ودرهم اكتسب في شبهة ، فكفارته أن ينفق في طاعة الله.

وكما يتعلق الثواب والعقاب والمدح والذم بإخراج الدرهم فكذلك يتعلق باكتسابه وكذلك يسأل عن مستخرجه ومصروفه من أين اكتسبه وفيم أنفقه. ورسولنا الأمين صلى الله عليه وسلم يقول: «لا تزول قدم عبدٍ حتى يُسأل عن أربع، ومنها : عن ماله من أين اكتسبه ، وفيم أنفقه.

اللهم اجعلنا ممن يتكسب من حلال.. وينفق في حلال.

رئيس التحرير

التحرير / ٨ شارع قوله - عابدين القاهرة ت : ٢٣٩٣٦٥١٧
المركز العام : القاهرة - ٨ شارع قوله - عابدين

رئيس التحرير

جمال سعد حاتم

مدير التحرير الفني

حسين عطا القراط

التوزيع الداخلى : مؤسسة الأهرام
وفروع أنصار السنة المحمدية

فى هذا العدد

الافتتاحية : نعم ونقم وابتلاءات : د . جمال المراكبي ٢
كلمة التحرير : نحو خطاب ثقافي للنيل من الإسلام : رئيس التحرير ٥
باب التفسير : سورة التغابن - الحلقة الأولى د . عبد العظيم بدوي ٩
باب السنة : أحكام في البيوع والخطبة : زكريا حسيني ١٢
منبر الحرمين : المرأة بين صيانة الإسلام وعبث اللئام :
الشيخ حسين ال الشيخ ١٥
مختارات من علوم القرآن : مصطفى البصراتي ١٨
أو تسريح بإحسان : فهد بن عبد الرحمن اليحيى ٢١
عقوق الوالدين : محمد بن إبراهيم الحمد ٢٤
مفاهيم عقائدية : أسامة سليمان ٢٩
منزلة النبي ﷺ عند الصوفية : شوقي عبد الصادق ٣٢
واحة التوحيد ٣٦
نظرات على فهم النص : متولي البراجيلي ٣٨
القصة في كتاب الله : قصة موسى عليه السلام : عبد الرازق السيد عيد ٤١
فضل أهل البيت عند أهل السنة والجماعة :
عبد المحسن بن حمد العباد البدر ٤٤
قصيدة : العبد الفقير : شيخ الإسلام ابن تيمية ٤٦
اقرأ من مكتبة المركز العام : « شرح السنة للمزني » علاء خضر ٤٧
أطفال المسلمين كيف رباهم النبي الأمين : جمال عبد الرحمن ٥٠
دروس من سيرة السلف في الحكم والقضاء : محمد أحمد عيسى ٥٣
تحذير الداعية من القصص الواهية : قصة المغسلة والإمام مالك -
علي حشيش ٥٤
صحح أحاديثك « الأذكار بين الجنون والاستهتار » ٥٨
فتاوى اللجنة بالمركز العام ٦١
من فتاوى الشيخ ابن عثيمين ٦٤
مفهوم الاتباع : محمد عاطف التاجوري ٦٦
فضائل الكلمات الأربع : عبد الرزاق عبد المحسن البدر ٦٩

فاكس : ٣٩٣٠٦٦٢ قسم التوزيع والاشتراكات ت : ٣٩١٥٤٥٦
هاتف : ٣٩١٥٥٧٦ - ٣٩١٥٤٥٦

البريد الإلكتروني

المجلة Mgtawheed@hotmail.com
رئيس التحرير Gshatem@hotmail.com
التوزيع والاشتراكات see@islamway.net
موقع المجلة على الإنترنت www.altawhed.com

ثمن النسخة :

مصر جنيه واحد . السعودية ٦ ريالات . الإمارات ٦ دراهم . الكويت ٥٠٠ فلس . المغرب دولار أمريكى . الأردن ٥٠٠ فلس . العراق ٧٥٠ فلسا . قطر ٦ ريالات . عمان نصف ريال عماني .

الاشتراك السنوي:
١- في الداخل ١٥ جنيها (بحوالة بريدية داخلية باسم مجلة التوحيد - على مكتب بريد عابدين).
٢- في الخارج ٢٠ دولارا أو ٧٥ ريالا سعوديا أو ما يعادلها.
ترسل القيمة بحوالة بنكية أو شيك . على بنك فيصل الاسلامي - فرع القاهرة - باسم مجلة التوحيد - انصار السنة (حساب رقم / ١٩١٥٩٠).

افتتاحية العدد

نعم.. ونقم.. وابتلاءات

بقلم

د. جمال المراكبي

إن ما يمر به عالمنا الإسلامي الآن يجعلنا نتساءل: لماذا أصبح المسلمون هدفا للمصائب والكوارث والحروب؟ فالمسلمون هم أكثر الشعوب معاناة على وجه الأرض، فهم وقود للحروب والصراعات، وضحايا للاعتداءات الوحشية في كل بقاع الأرض، ثم تأتي الكوارث الطبيعية لتقف هي الأخرى ضدهم، لنجد أكثر ضحايا الزلازل والفيضانات والأعاصير والمجاعات والأمراض والأوبئة الفتاكة من المسلمين!!

سؤال يتردد على ألسنة الكثيرين، هل هو غضب الله على المسلمين؟ ولماذا لا نجد مثل هذه الابتلاءات في غير المسلمين؟ ولماذا ينعم الله عز وجل بصنوف كثيرة من النعم على غير المسلمين؟

والسؤال يتضمن الكثير من المغالطة، فالمصائب والكوارث ليست حكرًا على المسلمين دون غيرهم، ولكن آثارها السلبية تكون أكثر ظهورًا بين المسلمين المصابين بأمراض الجهل والتواكل والسلبية والتخلف، بينما تخفَّ هذه الآثار في المجتمعات المتقدمة وأغلبها من غير المسلمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

والبلاء يعمُّ المسلم والكافر، ويكون بالنعمة والنقمة، قال تعالى: ﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴾ [الملك:٢].

وقال تعالى: ﴿ فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ (١٥) وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ (١٦) كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ (١٧) وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ (١٨) وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا (١٩) وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴾ [الفجر: ١٥- ٢٠].

فليس كل من أكرمه الله في الدنيا بصنوف من النعم هو في الحقيقة مُنعم عليه، وليس كل من قُدِر عليه رزقه مهانًا عند الله، بل إن الله عز وجل يبتلي الإنسان بالنعم كما يبتليه بالمصائب، والإنسان يتقلب في الدنيا بين صنوف من النعم وصنوف من المصائب.

والنعم التي ينعم بها المولى على عباده كثيرة: ﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ﴾ [النحل: ١٨]، وكلها من الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ﴾ [النحل: ٥٣]، والعباد فيها بين شاكر وكافر؛ فالشاكر يبارك له الله في النعم، ويزيده من فضله ﴿ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ [إبراهي: ٧]، والكافر يزيل الله عنه كل أثر للنعمة، ولا يبقى له إلا المصائب والمحن في الدنيا والآخرة: ﴿ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ [إبراهيم: ٧] .

وذلك لأن النعم على قسمين: نعم مطلقة، ونعم مقيدة.

فالنعم المطلقة: هي المتصلة بسعادة الإنسان في الدنيا والآخرة، وهي التي لا تزول ولا تنقطع، وتمامها يكون بالخلود في الدرجات العليا من الجنة، وقد سمع النبي ﷺ رجلا يدعو يسأل ربه تمام النعمة، فقال له: «هل تدري ما تمام النعمة؟ تمام النعمة أن يرزقك الله الجنة ويحول بينك وبين النار».

قال تعالى: ﴿ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ

الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

وهذه النعمة المطلقة هي نعمة الإسلام والسنة، وأهلها هم أهل الرفيق الأعلى، أهل الهداية، ولهذا أمرنا الله تعالى أن نسأله في صلواتنا الهداية إلى الصراط المستقيم؛ صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٦) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة: ٦، ٧].

فالمغضوب عليهم: الذين عرفوا الحق وأعرضوا عنه، والضالون: الذين ضلوا سبيل الرشاد، ليس لهم من هذه النعمة نصيب وإنما هي للمطيعين وحدهم: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩].

وهذه النعمة المطلقة هي التي أسبغها الله وأتمها على عباده المؤمنين بإكمال دينه وإتمام شريعته وإرسال رسوله: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣] .

وهذه النعمة المطلقة هي التي يفرح بها في الحقيقة، والفرح بها مما يحبه الله ويرضاه: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨]. وفضل الله ورحمته في الإسلام والسنة جعلنا الله من أهلها.

والنعم المقيدة: هي ما يتفضل به الله على عباده في الدنيا مما يحبون؛ كالصحة والفراغ والغنى والعافية في البدن والزوجة والولد، وهي شهوة وزينة، وهي مشتركة بين المؤمن والكافر، والبَر والفاجر، وهي مناط الاختبار والابتلاء: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ (١٤) قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ [آل عمران: ١٤، ١٥].

قال ابن كثير: «يخبر الله تعالى أنه زيَّن للناس حب الشهوات الدنيوية، وخص هذه الأمور المذكورة لأنها أعظم شهوات الدنيا وغيرها تبع لها، قال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الأَرْضِ زِينَةً لَهَا﴾ [الكهف: ٧]. فلما زينت لهم هذه المذكورات تعلقت بها نفوسهم، ومالت إليها قلوبهم، وانقسموا بحسب الواقع إلى قسمين: قسم جعلوها هي المقصود فصارت أفكارهم وخواطرهم وأعمالهم الظاهرة والباطنة لها، فشغلتهم عما خُلقوا لأجله، وصحبوها صحبة البهائم السائمة يتمتعون بلذاتها ويتناولون شهواتها، ولا يبالون على أي وجه حصّلوها، ولا فيما أنفقوها وصرفوها، فكانت زادًا لهم إلى دار الشقاء والعناء والعذاب.

والقسم الثاني: عرفوا المقصود منها، وأن الله جعلها ابتلاءً وامتحانًا لعباده، ليعلم من يُقدِّم طاعته ومرضاته على لذاته وشهواته، فجعلوها وسيلة لهم، وطريقًا يتزودون منها لآخرتهم، ويتمتعون بما يتمتعون به على وجه الاستعانة به على مرضاته، علموا أنها متاع الحياة الدنيا فجعلوها معبرًا إلى الدار الآخرة، فصارت زادًا لهم إلى ربهم». اهـ.

إن لله عبادًا فطنا
طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا
نظروا فيها فلما علموا
أنها ليست لحيّ وطنا
جعلوها لجُة واتخذوا
صالح الأعمال فيها سفنا

وفي الآيات تسلية للفقراء الذين لا قدرة لهم على هذه الشهوات التي يقدر عليها الأغنياء، وتحذير للمغترِّين بها، وتزهيد لأهل العقول بها، لذا أخبر الله عن دار القرار، ومصير المتقين الأخيار، وأنها خير من هذه الدار الفانية والنعيم الزائف الزائل، فقس هذه الدار الجليلة بتلك الزائلة الحقيرة ثم اختر لنفسك أحسنها، واعرض على قلبك المفاضلة بينهما.

والمصائب التي يبتلي الله بها عباده كثيرة: من فقر ومرض وتعب وعنت وموت، وهي قدر محتوم يعم المؤمن والكافر والبر والفاجر، والقصد منها الاختبار والابتلاء ليميز الله الخبيث من الطيب.

قال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي أَنْفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (٢٢) لِكَيْلاَ تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلاَ تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [الحديد:٢٢،٢٣].

المصائب المكفرة

١- المصائب بسبب الذنوب: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠]، ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ [النساء: ١٢٣].

٢- المصائب قدر محتوم ينبغي التسليم له: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي أَنْفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (٢٢)

لِكَيْلاَ تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلاَ تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [الحديد: ٢٢-٢٣].

﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [التغابن:١١].

٣- وجوب الصبر على المصائب لأنها ابتلاء من الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (١٥٣) وَلاَ تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لاَ تَشْعُرُونَ (١٥٤) وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الأَمْوَالِ وَالأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٣- ١٥٧].

٤- المصائب كفارات للذنوب: عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «ما من مصيبة تصيب المسلم إلا كفر الله بها عنه حتى الشوكة يشاكها». (البخاري ٥٦٤٠).

وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم، حتى الشوكة يشاكها، إلا كفر الله بها من خطاياه». [البخاري ٥٦٤١].

والكفارة: صيغة مبالغة من التكفير، وأصله التغطية والستر، والمعنى أن ذنوب المؤمن تتغطى بما يقع له من ألم المرض، وسائر المصائب.

قال تعالى: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلاَ أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلاَ يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلاَ نَصِيرًا (١٢٣) وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلاَ يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ [النساء:١٢٣-١٢٤].

والمعنى أن كل من يعمل سيئة يجازى بها إما في الدنيا أو الآخرة، والمرض والمصائب يكون جزاءً للسيئات، وكفارة لها. ذهب أكثر أهل التأويل إلى أن معنى الآية أن المسلم يجازى على خطاياه في الدنيا بالمصائب التي تقع له فيها فتكون كفارة لها.

أخرج أحمد وابن حبان عن عائشة أن رجلاً تلا هذه الآية، فقال: إنا لنجزى بكل ما عملناه؟ هلكنا إذن. فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: نعم يجزى به في الدنيا من مصيبة في جسده مما يؤذيه.

وأخرجا أيضًا عن أبي بكر قال: يا رسول الله، كيف الصلاح بعد هذه الآية؟ فقال: «غفر الله لك يا أبا بكر ألست تمرض، ألست تحزن؟» قال: بلى. قال: «هو ما تجزون به».

وروى مسلم عن أبي هريرة: أن هذه الآية لما نزلت بلغت من المسلمين مبلغًا شديدًا، فقال النبي ﷺ: «قاربوا وسددوا، ففي كل ما يصاب به المسلم كفارة حتى النكبة ينكبها والشوكة يشاكها».

هل المصائب كفارة بنفسها أم بالصبر عليها؟

قال العز بن عبد السلام: «إن الثواب والعقاب إنما هو على الكسب، والمصائب ليست منها، بل الأجر على الصبر والرضا». وقال القرطبي في المفهم مثل ذلك.

وقال القرافي: «المصائب كفارات جزمًا، سواء اقترن بها الرضا أم لا، لكن إن اقترن بها الرضا كان التكفير أعظم».

وقال ابن حجر: والتحقيق أن المصيبة كفارة لذنب يوازيها، وبالرضا يؤجر على ذلك، فإن لم يكن للمصائب ذنب عُوِّض عن ذلك من الثواب بما يوازنه.

وفي هذه الأحاديث بشارة عظيمة لكل مؤمن؛ لأن الآدمي لا ينفكُّ غالبًا عن ألم بسبب مرض أو همّ أو نحو ذلك، وإن الأمراض والآلام والأوجاع: بدنية كانت أو قلبية تكفر ذنوب من تقع له، وقد ورد في الحديث: «ما من مسلم يصيبه أذى- شوكة فما فوقها- إلا كفر الله بها سيئاته، كما تحط الشجرة ورقها». (البخاري ٥٦٤٨).

هل المصائب تكفر جميع الذنوب؟

ظاهر النصوص يفيد ذلك، ولكن أكثر العلماء جعلوا ذلك خاصًا بالصغائر، أما الكبائر فلا بد فيها من التوبة النصوح، واستدلوا بحديث: «الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر».

والراجح أن الحسنات الماحية ومنها الصبر على القضاء والرضا به توضع في كفة الحسنات، وذلك في مقابلة الذنوب التي توضع في كفة السيئات، فإما أن ترجح بها وإما أن تعادلها.

والحسنات توضع متضاعفة إلى عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، والسيئات توضع منفردة.

وربما تعظم الحسنة الواحدة فتطيش بها سجلات عظيمة من الذنوب كما في حديث البطاقة عند أحمد والترمذي.

والله أعلم.

كلمة التحرير

بقلم
رئيس التحرير

خطاب ثقافي للنيل من الإسلام

الحمد لله الهادي إلى الصراط المستقيم، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين ومن اقتدى بهم واهتدى بهداهم إلى يوم الدين.

أما بعد : فقد تميزت أحكام الشريعة الإسلامية بشموليتها وصلاحها لكل زمان ومكان مهما تبدلت الأحوال واختلفت الألسنة، وتباعدت الأقطار.

فكمال الشريعة مما تشهد به العقول، ويقطع به ويؤكده توافق الفطر، وقد خَلَق الله الخلق وعلم مصالحهم، وخلق الأسباب ورتب عليها المسببات، وجعل أحكام الشريعة وآدابها ميزانًا عامًا لجميع شئون الحياة، قادت العباد إلى بر الأمان، هذبت عقولهم، وأصلحت أبدانهم ورتبت شؤونهم على أحسن وجه وأكمل حال.

وصدق الله - ومن أصدق من الله قيلاً، ومن أصدق من الله حديثًا : «اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينًا» [المائدة: ٣].

فلا إكمال بعد إكمال الله، ولا إتمام بعد إتمام الله.

في الأيام القليلة الماضية احتضنت وزارة الثقافة المصرية برئاسة الوزير فاروق حسني مؤتمرًا أسموه « نحو خطاب ثقافي عربي جديد» في حرب سافرة على الإسلام، ولم يجد المشاركون في المؤتمر الذين استدعتهم وزارة الثقافة من البلدان العربية، ومن أحضان الغرب، وسيلة لتقديم خطاب ثقافي جديد غير إنكار الإسلام، والدعوة إلى إلغاء الحلال والحرام، ونفي السنة، وحصر أحكام القرآن في حدود أسباب التنزيل، وتفكيك المؤسسات الدينية كالأزهر والأوقاف، ودار الإفتاء، وإلغاء النص الدستوري على أن الإسلام دين الدولة، والقضاء تمامًا على التعليم الديني الذي وصفوه بالظلامي، واقترحوا تعليمًا بديلاً وأطلقوا عليه اسم «التنويري» يسقط قيمة الحلال والحرام لصالح القيم الكونية دون تحديد لهذه القيم. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وقد توصل المؤتمرون لتلك الرؤى المعدة سلفًا بعد حملة منظمة ضد الإسلام ورسالته وعلمائه وفقهائه، واعتبروه السبب في الكارثة التي يمر بها العالم الإسلامي - بسبب قيام التعليم الديني - على حسب زعمهم - على أساس مخالفة الكفار في كل شيء حتى في العلم.. كما شككوا في كل الخطوات الإصلاحية التي تقوم بها المؤسسات الدينية، وفي جلسة من جلسات المؤتمر والتي حملت عنوان «تجديد الخطاب الديني» وتبلورت في عدة نقاط كان من أبرزها:

- نفي الأحاديث والسنة والفقه والتفاسير.
- اعتبار أن التجديد يتم انطلاقًا من النص القرآني وفق قضيتي أسباب النزول والناسخ والمنسوخ، مع اعتبار أن القرآن نص منته، وأن الأحداث غير منتهية وبالتالي لا يجوز الحكم بالمنتهي على اللامنتهي.
- إلغاء حد الردة، واستصدار قرار جمهوري بذلك.
- تفكيك المؤسسات الدينية القائمة كالأزهر الشريف، وإبدالها بمؤسسات أهلية تتولى إصدار الفتاوى.
- إعادة النظر في التعليم الديني.
- إلغاء المادة التي تنص على أن الإسلام دين الدولة من الدستور.
- وقف العمل بالمعاجم اللغوية القديمة، وتقديم لغة جديدة

للانطلاق بها نحو النص القرآني .

●● التنصل من كل ما قال به صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

العلمانيون يظهرون عداوتهم للإسلام

ومع اشتداد وطيس الحملة الشعواء التي يشنها العلمانيون أتباع كل ناعق فإننا ومع إيماننا الكامل بأن للإسلام ربًا يحميه إلا أن ما حدث في المؤتمر المشبوه ليصيب المسلم في مقتل، ومن خلال هذه الكلمات ننقل بعض المشاركات في المؤتمر :

● المدعو أحمد عبد المعطي حجازي تفتق ذهنه عن حل عبقري لنهضة الأمة ألا وهو فصل الدين عن الدولة بعدما أصبح الدين بحسب رؤيته عائقًا لأي تقدم سياسي أو اجتماعي أو اقتصادي. وإلى الله المشتكى.

● الكاتب التونسي المقيم في باريس «الغفيف الأخضر» انتهز الفرصة لتوجيه هجومه نحو التعليم الديني باعتباره مكونًا للخطاب الديني وقال : «إن هذا التعليم يقوم على مخالفة الكفار وعدم ممارسة ما يفعلونه كله من عادات وتقاليد وعلوم وبحث إلى غير ذلك... وهذا بحسب زعمه كارثة العالم الإسلامي، ثم خلص إلى القول بأنه لابد من تجديد الخطاب الديني بشكل يجعلنا نتطهر من فقه القرون الوسطى. اهـ. وإنا لله وإنا إليه راجعون.

● أما الكاتب « جمال البنا » فقد قدم رؤيته لتجديد الخطاب الديني والتي تقوم على الوصول مباشرة إلى النص القرآني دون النظر إلى تفسيرات المفسرين أو إلى آلاف الأحاديث النبوية التي يرى أنها موضوعة ومنتحلة مشيرًا إلى أنه لا يوجد إلا القليل من الأحاديث الصحيحة. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وقال أيضًا : نريد الإسلام كما أنزله الله وليس كما وصفه الفقهاء، ولا بد من إلغاء المادة التي تقول بأن الإسلام دين الدولة من الدستور.

● د. يحيى الرخاوي قال : فليصدر رئيس الجمهورية قرارًا بإلغاء حد الردة ما دام ليس هناك عقوبة أقرها القرآن.

● د. حسن حنفي أستاذ الفلسفة بجامعة القاهرة يقول : إن التجديد في الخطاب الديني لا يكون إلا عبر خمسة شروط ؛ اللغة والمنهج والموضوع والحوار مع العصر، وفصل الدين عن الدولة . انتهى.

والهجوم حاد من التنويريين على التراث الفقهي لدى المسلمين ، على أنه السبب في موجة الإرهاب الهستيري.

إن آفة الناس الحديث بغير علم، وإصدار الأحكام على ما يجهلون حقيقته ، فالآية التي يصفونها بأنها تعني الاستعلاء لا تعني الأفضل أو الأحسن، أو تفضيل ملة على ملة أو جنس على جنس، وإنما تعني أن هذه الأمة هي خير الناس للناس، وهي خيرية مشروطة إذا فقدت شروطها فقد أصحابها الخيرية ؛ أي أنها مسئولية أكثر منها تفضيل في الآية التي يطالبون بحذفها «كنتم خير أمة أخرجت للناس .... »!!

الصراع بين الحق والباطل

إن التمسك بالإسلام هو الطريق إلى الظفر والفوز في هذه الحياة، كما قال ﷺ: «تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما: كتاب الله وسنتي، ولن يتفرقا حتى يردا عليَّ الحوض». أخرجه الحاكم عن أبي هريرة رضي الله عنه.

❑ احتضنت وزارة الثقافة المصرية مؤتمرًا أسموه : « نحو خطاب ثقافي عربي جديد » كل بنوده حرب سافرة على الإسلام.

ولما كان الأمر كذلك كانت عزة المسلمين أو ذلتهم خاضعة لمعيار تمسكهم بتعاليم دينهم.

والصراع بين الحق والباطل قائم على قدم وساق. أصاب أمة الإسلام من جراء ذلك نوازل عظيمة، ثم ما لبثت أن استعادت مجدها أو بعض مجدها، ثم عصفت بها نوازل أخرى.

والناظر في كثير من مجتمعات المسلمين يرى فيها أثر البعد عن التمسك بالنصوص الشرعية، فقد غابت كثير من تعاليم السُنن، وظهرت وانتشرت رائحة البدع النتنة، ولما كان قيام البدع مرهونًا بإماتة السنن، كانت راية البدع بقدر ارتفاعها تزيد في وهن راية السنة.

قال الإمام البربهاري رحمه الله في «شرح السنة» (ص٦٦، ٦٧): «اعلم أن الناس لم يبتدعوا بدعة قط حتى تركوا من السنة مثلها، فاحذر المحدثات من الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، والضلالة وأهلها في النار». [رسالة السِّجزي إلى أهل زبيد ص١٠٠].

مناهج الإصلاح

لقد نال الإسلام نصيب الأسد من سهام العداء، فلا تكاد فتنة تخبو وتُطفأ نارها حتى تقوم فتنة أخرى، يحرك ذلك ويقوده العداء المتأصل للإسلام، وكان من أعظم الفتن تلك الفتن العقدية المنحرفة التي شوّهت صفاء الإسلام وأدخلت الوهن في قلوب الكثير، بل وجرأتهم على الطعن في نصوص الشرع، فكان العقل عندهم قائدًا والشرع مقودًا!!

وعلى الرغم من تلك الفتن المتتالية وكثرة سواد أهلها، كان الناصحون والمصلحون بالمرصاد لجميع ذلك، وقد مضت سُنَّة الله تعالى في أن نور الحق لا يغيب مهما كان حجم العداء وقوة شوكته.

والناظر بعين الحق والإنصاف إلى بعض تلك المناهج الإصلاحية، يرى في أهدافها ما يخالف منهاج أهل السنة، بل في بعض ذلك ما قد حذَّر منه أهل السنة رحمهم الله تعالى.

وقد عرّف الإمام السجزي رحمه الله تعالى أهل السنة بقوله: «أهل السنة هم: الثابتون على اعتقاد ما نقله إليهم السلف الصالح رحمهم الله عن الرسول ﷺ أو عن أصحابه رضي الله تعالى عنهم، فيما لم يثبت فيه نص في الكتاب، ولا عن الرسول ﷺ لأنهم رضي الله تعالى عنهم أئمة، وقد أمرنا باقتفاء آثارهم واتباع سنتهم، وهذا أظهر من أن يحتاج فيه إلى إقامة برهان، والأخذ بالسنة واعتقادها مما لا مرية في وجوبه».

أهل السنة... وتعظيم النصوص الشرعية

وقد كان أهل السنة رحمهم الله تعالى أكثر الناس تعظيمًا للنصوص الشرعية، وكانوا لا يقبلون في ذلك صرفًا ولا عدلاً.

وقد قال الإمام أبو حنيفة رحمه الله: «إذا صح الحديث فهو مذهبي». وقال أيضًا: «لا يحل لأحد أن يأخذ بقولنا ما لم يعلم من أين أخذناه».

وقال الإمام مالك رحمه الله: «إنما أنا بشر أخطئ وأصيب، فانظروا في رأيي، فكل ما وافق الكتاب والسنة فخذوه، وكل ما لم يوافق الكتاب والسنة فاتركوه».

وقال الإمام الشافعي رحمه الله: «ما من أحد إلاَّ وتذهب عليه سنة لرسول الله ﷺ، وتغرب عنه، فمهما قلت من قول أو أصّلت من أصل

مع اشتداد وطيس الحملة الشعواء التي يشنها العلمانيون - أتباع كل ناعق - فإننا نؤمن إيمانًا كاملاً بأن للإسلام ربًا يحميه.

فيه عن رسول الله ﷺ خلاف ما قلت، فالقول ما قال رسول الله ﷺ وهو قولي».

وقال أيضًا: «إذا رأيتموني أقول قولاً وقد صح عن النبي ﷺ خلافه فاعلموا أن عقلي قد ذهب».

أما الإمام أحمد فقد قال رحمه الله: «من ردّ حديث رسول الله ﷺ، فهو على شفا هلكة».

وقد أحسن الناظم عندما قال:

قال أبو حنيفة الإمامُ
لا ينبغي لمن له إسلام
أخذ بأقواليَ حتى تُعرَضا
على الحديث والكتاب المرتضى
ومالكٌ إمامُ دار الهجرة
قال وقد أشار نحو الحجرة
كل الكلام منه ذو قبولِ
ومنه مردودٌ سوى الرسولِ
والشافعي قال إن رأيتمْ
قولي مخالفًا لما روَيتمْ
من الحديث فاضربوا الجدارَ
بقوليَ المخالفِ الأخبارَ
وأحمدُ قال لهم لا تكتبوا
عني بل أصل ذلك اطلبوا
دينك لا تقلد الرجالَ
حتى ترى أوْلاهمُ مقالا

مناهج الإصلاح والبعد عن العلم الشرعي

كثير من مناهج الإصلاح التي يحاولون فرضها علينا هذه الأيام زهيدة، بل بعيدة كل البعد عن العلم الشرعي، داخلها كثير من الخلل، خلل في المعتقد، وخلل في العبادات، وخلل في طريق الإصلاح.

قال الإمام الشاطبي رحمه الله تعالى : «البدعة إذا دخلت في الأصل سهلت مداخلتها في الفروع». [أخلاق حملة القرآن ص٧٧].

وليت الأمر وقف عند هذا الحد ، بل وصل إلى حد المؤامرة لتجريد الأمة من عقيدتها والترويج لافتراءات المستشرقين، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

مناشدة للأزهر والأوقاف

وعلى أرض مصر الطيبة رُفضت قوانين مؤتمر السكان الذي عقد بالقاهرة.. ووقفت مصر جميعها شعبًا وحكومةً، والأزهر بعلمائه ضد كل دعوة تمس الإسلام والمسلمين. ورحم الله شيخنا الشيخ جاد الحق شيخ الأزهر الراحل.

واليوم ومع الهجمة الشرسة التي تُشن ضد الإسلام والمسلمين، فإننا نناشد الأزهر وشيخه وعلماءه ومجمع البحوث الإسلامية أن يقفوا كما وقفوا من قبل ضد المحاولات التي تستهدف إسلامنا وديننا.

كما نناشد فضيلة شيخ الأزهر بعقد مؤتمر إسلامي للرد على المغرضين ومراجعة كل ما يصدر من إصدارات عن وزارة الثقافة، وإصدار بيان يفند فيه ما قرره ذلك المؤتمر وما جاء فيه. والله المستعان . وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

□ الصراع بين الحق والباطل قائم على قدم وساق، أصاب أمة الإسلام من جراء ذلك نوازل عظيمة، لكن المستقبل للإسلام.

سورة التغابن

•• الحلقة الأولى ••

إعداد

د / عبد العظيم بدوي

﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١) هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٢) خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ (٣) يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٤) أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٥) ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا وَاسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾ [التغابن:١-٦].

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد فإن سورة التغابن سورة مدنية أشبه ما تكون بالسور المكية لاهتمامها بالعقيدة وأصول الدين، حتى قال بعض العلماء إنها مكية.

استفتحت السورة بيان تسبيح من في السموات والأرض بحمد الله لأنه الخالق المالك للسموات والأرض وما فيهما. ثم حذّرت الكافرين من عاقبة الكفر الوخيمة، ولفتتْ أنظارَهم إلى مصارع الكافرين من قبلهم ليعتبروا بهم. ثم تحدثت عن البعث بعد الموت وردّت على منكريه، وبيّنت جزاء كلٍّ من المؤمنين والكافرين.

كما بينت أن كل شيء بقضاء، وأن من يؤمن بقضاء الله يهد الله قلبه. وحذرت المؤمنين من الانشغال بأموالهم وأولادهم عن ذكر الله.

ثم ختمت بأمرهم بتقوى الله، والسمع والطاعة، والإنفاق في سبيل الله مما رزقهم الله، ووعدتْهم إن أنفقوا أن يضاعف الله لهم الأجر يوم القيامة: ﴿ يَوْمَ لاَ يَنْفَعُ مَالٌ وَلاَ بَنُونَ ﴾ [الشعراء:٨٨].

هذه السورة هي آخر المسبّحات، وقد مضى الكلام عن تسبيح الكائنات لبارئها ومالكها.

وقوله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ ﴾ أى هو وحده، لا غيره، وهذه حقيقة، كان المشركون قديمًا مقرين بها، كما قال تعالى: ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾ [الزخرف:٨٧]، حتى نشأت ناشئةٌ من الملحدين الذين أنكروا وجود الله بالكليّة، وردوا نشأتهم إلى الطبيعة ﴿ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (٧٠) إِذِ الأَغْلاَلُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلاَسِلُ يُسْحَبُونَ (٧١) فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴾ [غافر: ٧٠ ـ ٧٢].

﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ ﴾

أي هو الخالق لكم على هذه الصفة، وأراد منكم ذلك، فلا بدّ من وجود مؤمن وكافر، والمقصود بهذه الإرادة؛ الإرادةُ الكونية القدرية، لا الإرادة الشرعية الدينية، والإرادة الكونية تتعلّق بالخلق والإيجاد، وأما الشرعية فإنها تتعلق بالأمر والنهي، وهذه التي تدل على الحب والكره، دون الأولى؛ فكل ما أمر الله به فهو يحبه، وإن لم تتعلق به الإرادة الكونية، وكلّ ما نهى عنه فهو يكرهه وإن تعلقت به الإرادة الكونية، فإنها - أي الشرعية - لا تتعلق إلا بما يحب، فإيمان المؤمن تعلقت به الإرادتان الشرعية والقدرية، وكفر الكافر تعلقت به الإرادة القدرية دون الشرعية، لأن الله لم يأمر بالكفر بل نهى عنه وتوعد عليه، قال تعالى: ﴿ إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلاَ يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ ﴾ [الزمر:٧].

وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ (٢٨) قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ ﴾ [الأعراف: ٢٨، ٢٩].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ ﴾ [النحل: ٩٠].

وقدم تعالى ذكر الكافرين لكثرتهم وقلّة المؤمنين، ولذا قال تعالى لنبيه ﷺ: ﴿وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ ﴾ [الأنعام: ١١٦].

وقال تعالى لنبيه ﷺ: ﴿ وَالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الرعد: ٥].

ولذا جاء في الحديث عن النبي ﷺ أن الله يقول لآدم يوم القيامة: «ابعث بعث النار من ذريتك. فيقول يا ربّ كم؟ فيقول: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين» [متفق عليه، رواه البخاري (٨/٤٤١/٤٧٤١)، ومسلم (١/٢٠١/٢٢٢)]

فلا تغتر يا عبد الله بكثرة السالكين طريق الباطل، ولا تستوحش من طريق الحق وإن قل سالكوه.

وقوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ أي: وهو سبحانه بصير بمن يستحق الهداية ممن يستحق الضلال، وهو شهيد على أعمال عباده، وسيجزيهم بها أتم الجزاء.

وقوله تعالى: ﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ ﴾ أي بالعدل والحكمة، ولم يخلقهما عبثا، كما قال تعالى: ﴿ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾ [الدخان: ٣٨، ٣٩].

وكما قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلاً ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ﴾ [ص: ٢٧].

وقوله تعالى: ﴿ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ ﴾ كقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ (٦) الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ (٧) فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴾ [الانفطار: ٦ - ٨].

وقوله تعالى: ﴿ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [غافر: ٦٤].

وفي الحديث أن النبي ﷺ رأى رجلا يجر ثوبه فتبعه فقال: «ارفع إزارك» فكشف الرجل عن ركبتيه فقال: يا رسول الله إني أحنف وتصطك ركبتاي، فقال رسول الله ﷺ: «كل خلق الله عز وجل حسن».

فالحمد لله الذي حسن خلقنا.

وقوله تعالى: ﴿ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾ أي المرجع والمآب،

للحساب والجزاء، ﴿ يُنَبَّأُ الإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴾ [القيامة: ١٣]. ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًا يَرَهُ ﴾ [الزلزلة: ٧، ٨].

ثم أخبر تعالى عن علمه الذي قد أحاط بكل شيء فقال: ﴿ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾، كما قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ وَلاَ خَمْسَةٍ إِلاَّ هُوَ سَادِسُهُمْ وَلاَ أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلاَ أَكْثَرَ إِلاَّ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَمَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [المجادلة: ٧].

وكما قال تعالى: ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ [الأنعام: ٥٩].

وقوله تعالى: ﴿ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ [التغابن:٤].

كقوله تعالى: ﴿ وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ [الملك: ١٣].

وقوله: ﴿ أَلاَ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلاَ حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ [هود: ٥].

ثم لفت الله أنظار الكفار إلى مصارع الكافرين من قبلهم.

ليعتبروا بهم، فيرجعوا عمّا هم عليه من الكفر، فقال تعالى: ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ كما قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ (٦) إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ (٧) الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلاَدِ (٨) وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ (٩) وَفِرْعَوْنَ ذِي الأَوْتَادِ (١٠) الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلاَدِ (١١) فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ (١٢) فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ (١٣) إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴾ [الفجر: ٦ ـ ١٤]. ﴿ فَكُلاًّ أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا ﴾ [العنكبوت: ٤٠]. ﴿ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ ﴾ أي وخيم تكذيبهم، ورديء أفعالهم، وهو ما حل بهم في الدنيا من العقوبة والخزي، ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ أي في الآخرة ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴾ كل ظالم، وكل طاغية ﴿ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الأَبْصَارِ ﴾ [الحشر:٢].

وجملة ما أصابهم: ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ ﴾ الواضحات والبراهين الثابتات، على أنهم رسل الله ﴿ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا ﴾ ﴿ لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لأَنْزَلَ مَلاَئِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴾ [فصلت: ١٤]، ﴿ فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا وَاسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾. كما قال تعالى: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ (٧) وَقَالَ مُوسَى إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾ [إبراهيم: ٧، ٨].

وفي الحديث القدسي: قال الله تعالى: «يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضرّي فتضرّوني، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني. يا بعادي؛ لو أنّ أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحدٍ منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئًا. يا عبادي، لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنّكم كانوا على أفجر قلب رجل واحدٍ منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئًا» [مسلم (٢٦٧٧)].

أحكام في البيوع والخِطبة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم النبيين والمرسلين نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين...

وبعد:

فقد أخرج الإمامان البخاري ومسلم في صحيحيهما عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «نهى رسول الله ﷺ أن يبيع حاضر لباد، ولا تناجشوا، ولا يبيع الرجل على بيع أخيه، ولا يخطب على خطبة أخيه، ولا تسأل المرأة طلاق أختها لتكفأ ما في إنائها».

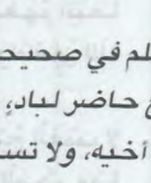

إعـداد

زكريا حسيني

هذا الحديث أخرجه البخاري في أحد عشر موضعًا من صحيحه بالأرقام (٢١٤٠- ٢١٤٨- ٢١٥٠- ٢١٥١- ٢١٦٠- ٢١٦٢- ٢٧٢٣- ٢٧٢٧- ٥١٤٤- ٢٥١٢- ٦٦٠١)، كما أخرجه مسلم في خمسة مواضع في كتاب النكاح بأرقام (٣٨- ٣٩- ٥١- ٥٢)، وفي كتاب البيوع برقم (١٢)، كما أخرجه أبو داود في كتاب النكاح وكتاب الطلاق، والترمذي في النكاح والطلاق، والنسائي في البيوع، وابن ماجه في النكاح، ومالك في الموطأ في كتاب النكاح والقدر، وأحمد في المسند.

شرح الحديث

قوله: «نهى رسول الله ﷺ أن يبيع حاضر لباد»: فسره ابن عباس رضي الله عنهما بقوله: «لا يكون له سمسارًا»، والسمسار هو الذي يتولى البيع والشراء لغيره، ومعناه: لا يتسبب في رفع ثمن السلعة التي جلبها البادي إلى البلد فيغلي بذلك قوت المسلمين، وصوره بعضهم بأن يجيء البلد غريب بسلعته يريد بيعها بسعر الوقت في الحال، فيأتيه بلدي فيقول له: ضعه عندي لأبيعه لك على التدريج بأغلى من هذا السعر، فجعلوا الحكم منوطًا بالبادي ومن شاركه في معناه، قال: وإنما ذكر البادي في الحديث لكونه الغالب فألحق به من يشاركه في عدم معرفة السعر الحاضر وإضرار أهل البلد بالإشارة عليه بألا يبادر بالبيع.

قوله ﷺ: «ولا تناجشوا»: النَّجْشُ في الشرع: الزيادة في ثمن السلعة ممن لا يريد شراءها ليقع غيره فيها، قال ابن حجر: سمي بذلك لأن الناجش يثير الرغبة في السلعة ويقع ذلك بمواطأة البائع فيشتركان في الإثم، ويقع ذلك بغير علم البائع فيختص بذلك الناجش، وقد أورد البخاري تحت باب النجش قول ابن أبي أوفى: «الناجش آكل ربا خائن، وهو خداع باطل لا يحل»، وعلق قول النبي ﷺ: «الخديعة في النار، ومن عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد». قال في الفتح: «أما الحديث الثاني فسيأتي موصولًا من حديث عائشة في كتاب الصلح، وأما حديث الخديعة في النار»، فرويناه في «الكامل» لابن عدي من حديث قيس بن سعد بن عبادة قال: لولا أني سمعت

رسول الله ﷺ يقول: «المكر والخديعة في النار» لكنت من أمكر الناس، وإسناده لا بأس به.

قوله ﷺ: «ولا يبيع الرجل على بيع أخيه»: أي إذا تم عقد البيع إيجابًا وقبولًا بين المتبايعين فإنه لا يجوز للبائع أن يبيع هذه السلعة التي تم العقد عليها لغير المشتري، أما إذا كان البيع بالمزايدة (المزاد) فلا حرج في عرض السلعة على أكثر من واحد، وقد ورد في البيع فيمن يزيد حديث أنس أنه ﷺ باع حلسًا وقدحًا وقال: «من يشتري هذا الحلس والقدح؟» فقال رجل: أخذتهما بدرهم، فقال ﷺ: «من يزيد على درهم؟» فأعطاه رجل درهمين، فباعهما منه.

قال في الفتح: أخرجه أحمد وأصحاب السنن مطولا ومختصرًا، واللفظ للترمذي، وقال: حسن، قال الحافظ: وكأن المصنف (البخاري) أشار بالترجمة إلى تضعيف ما أخرجه البزار من حديث سفيان بن وهب: «سمعت النبي ﷺ ينهى عن بيع المزايدة»، فإن في إسناده ابن لهيعة وهو ضعيف.

قوله ﷺ: «ولا يخطب على خطبة أخيه»: قال ابن عبد البر في الاستذكار: قال مالك: وتفسير قول رسول الله ﷺ فيما نرى- والله أعلم- لا يخطب أحدكم على خطبة أخيه؛ أن يخطب الرجل المرأة فَتَرْكن إليه ويتفقان على صداق واحد معلوم، وقد تراضيا، فهي تشترط عليه لنفسها، فتلك التي نهى أن يخطبها الرجل على خطبة أخيه، ولم يعن بذلك إذا خطب الرجل المرأة فلم يوافقها أمره، ولم تركن إليه أن لا يخطبها أحد، فهذا باب فساد يدخل على الناس، قال أبو عمر: وبنحو ما فسر مالك هذا الحديث فسره الشافعي وأبو عبيد، وهو مذهب جماعة الفقهاء كلهم، وهو المعمول به عند السلف والخلف، قال: وذلك- والله أعلم-؛ لأن رسول الله ﷺ أباح الخطبة لأسامة بن زيد على خطبة معاوية بن أبي سفيان وأبي الجهم بن حذيفة حين خطبا فاطمة بنت قيس، فأتت رسول الله ﷺ مشاورة له، فخطبها لأسامة على خطبتهما، وحديثها خرجه مسلم وأبو داود والنسائي، وقد روى أبو هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «لا يخطب أحدكم على خطبة أخيه حتى ينكح أو يترك». قال أبو عمر: فإذا ركنت المرأة أو وليها، ووقع الرضا لم يجز لأحد حينئذ الخِطبة على من ركن إليه ورضي واتفق عليه، ومن فعل ذلك كان عاصيًا إذا كان بالنهي عالمًا.

قوله ﷺ: «ولا تسأل المرأة طلاق أختها لتكفأ ما في إنائها». وفي رواية: «لا يحل لامرأة تسأل طلاق أختها لتستفرغ صحفتها فإنما لها ما قدر لها». وفي رواية لأبي نعيم: «لا يصلح لامرأة أن تشترط طلاق أختها لتكفئ إناءها». وفي رواية للبيهقي: «لا ينبغي» بدل «لا يصلح»، وفي رواية أخرى للبيهقي وفيها: «ولا تسأل المرأة طلاق أختها لتستفرغ إناء صاحبتها ولتنكح فإنما لها ما قدر لها». وجاء في رواية البخاري: «لتستفرغ صحفتها...».

قال الحافظ في الفتح: قوله: «لا يحل» ظاهر في تحريم ذلك، وهو محمول على ما إذا لم يكن هناك سبب يُجَوِّز ذلك كريبة في المرأة لا ينبغي معها أن تستمر في عصمة الزوج ويكون ذلك على سبيل النصيحة المحضة، أو الضرر يحصل لها من الزوج أو للزوج منها، أو يكون سؤالها ذلك بعوض وللزوج رغبة في ذلك فيكون كالخلع مع الأجنبي، إلى غير ذلك من المقاصد المختلفة. ونقل الحافظ في الفتح عن النووي قوله في معنى «أختها» معنى هذا الحديث نهي المرأة

لا يبيع الحاضر- وهو المقيم بالمدينة- للبادي: وهو الغريب عن البلد أو السوق والذي يدخل القرية من غير أهلها، وذلك لجهله بالأسعار- لأن في ذلك إضرارا بالسوق والبائع..

الأجنبية أن تسأل رجلًا طلاق زوجته وأن يتزوجها هي، فيصير لها من نفقته ومعروفه ومعاشرته ما كان للمطلقة، فعبر عن ذلك بقوله: «تكفئ ما في صحفتها». قال: والمراد بأختها غيرها، سواء كانت أختها من النسب أو الرضاع أو الدين، ويلحق بذلك الكافرة في الحكم وإن لم تكن أختها في الدين، إما لأن المراد الغالب أو أنها أختها في الجنس الآدمي، قال الحافظ: وحمل ابن عبد البر الأخت هنا على الضرة، فقال: فيه من الفقه أنه لا ينبغي أن تسأل المرأة زوجها أن يطلق ضرتها لتنفرد به، ثم علق الحافظ في الفتح على هذا بقوله: «وهذا يمكن في الرواية التي وقعت بلفظ: «لا تسأل المرأة طلاق أختها»، وأما الرواية التي فيها لفظ الشرط فظاهرها أنها في الأجنبية، ويؤيده قوله فيها: ولتنكح» أي: ولتتزوج الزوج المذكور من غير أن تشترط طلاق التي قبلها، وعلى هذا فالمراد بالأخت هنا الأجنبية في الدين، ويؤيده زيادة ابن حبان في آخره بلفظ: «لا تسأل المرأة طلاق أختها لتستفرغ صحفتها فإن المسلمة أخت المسلمة».

وقوله: «لتستفرغ صحفتها» يفسر المراد بقوله: «تكفئ» وهو بالهمزة افتعال من كفأت الإناء إذا قلبته وأفرغت ما فيه، وكذا يَكْفَأ، وجاء أكفأت الإناء إذا أملته، وهو في رواية ابن المسيب «لتكفئ» بضم أوله من أكْفَأْت، وهي بمعنى أملته، ويقال بمعنى أكببته أيضًا، والمراد بالصحفة كما في النهاية إناء كالقصعة المبسوطة، قال صاحب النهاية: وهذا مثل، يريد الاستئثار عليها بحظها، فيكون كمن قلب إناء غيره في إنائه.

وقوله: «ولتنكح» بكسر اللام وبإسكانها وبسكون الحاء على الأمر، ويحتمل النصب عطفًا على قوله: «لتكفئ» فيكون تعليلًا لسؤال طلاقها، ويتعين على هذا كسر اللام، ثم يحتمل أن يكون المراد: ولتنكح ذلك الرجل من غير أن تتعرض لإخراج الضرة من عصمته، بل تكل الأمر في ذلك إلى ما يقدره الله، ولهذا ختم بقوله: «فإنما لها ما قدر لها» إشارة إلى أنها وإن سألت ذلك وألحت فيه واشترطته فإنه لا يقع منه إلا ما قدره الله، فينبغي ألا تتعرض هي لهذا المحذور الذي لا يقع منه شيء بمجرد إرادتها، والمعنى: ولتنكح ما تيسر لها فإن كانت التي قبلها أجنبية فلتنكح الرجل المذكور بدون اشتراط طلاق التي قبلها، وإن كانت أختها فلتنكح غيره.

هذا، وإن المتأمل في أحوال المسلمين اليوم ليجد زيادة عدد النساء بالنسبة للرجال، فينبغي أن ينظر إلى التعدد على أنه حل لمشكلات اجتماعية، وصون لكرامة المرأة، وحفظ لحرمة الدين والعرض، فإن المرأة التي لها زوج ينبغي لها أن تحب لأختها المسلمة ما تحب لنفسها، وألا تطلب الطلاق لمجرد أن زوجها فكر في التعدد، فلو أن كل إنسان مسلم رجلًا كان أم امرأة وضع نفسه موضع أخيه المسلم أو أخته المسلمة، ونظر إلى المصالح والمفاسد المترتبة على منع التعدد؛ لانحلت كثير من عقد المسلمين ومشكلاتهم؛ لأن المسلمين سيتخذون الحليلات بدلًا من الخليلات أو العشيقات والأخدان.

نسأل الله العصمة من الزلل، وأن يغنينا بالحلال عن الحرام، وأن يحفظ على المسلمين دينهم وأعراضهم وبلادهم.

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه.

إن المتأمل في أحوال المسلمين اليوم ليجد زيادة عدد النساء بالنسبة للرجال، فينبغي أن ينظر إلى التعدد على أنه حل لمشكلات اجتماعية وصون لكرامة المرأة وحفظ لحرمة الدين والعرض.

باب منبر الحرمين

المرأة بين صيانة الإسلام وعبث اللئام

لفضيلة الشيخ / حسين آل الشيخ

إمام المسجد النبوي

معاشر المسلمين، لم تعرف البشريةُ دينًا ولا حضارةً عُنيت بالمرأة أجملَ عناية، وأتمَّ رعايةٍ وأكملَ اهتمام كالإسلام. تحدَّث عن المرأة، وأكّد على مكانتها، وعظِم منزلتها، جعلها مرفوعةَ الرأس، عاليةَ المكانة، مرموقةَ القدْر، لها في الإسلام الاعتبارُ الأسمى، والمقامُ الأعلى، تتمتّع بشخصيةٍ محترمة، وحقوقٍ مقرّرة، وواجبات معتبرة. نظر إليها على أنها شقيقةُ الرجل، خُلِقَا من أصل واحد، ليسعدَ كلٌّ بالآخر ويأنس به في هذه الحياة، في محيط خيرٍ وصلاح وسعادة، قال ﷺ: «إنما النساء شقائق الرجال». [السلسلة الصحيحة (٢٨٦٣)].

منزلة المرأة في الإسلام

المرأةُ في تعاليم الإسلام كالرجل في المطالبة بالتكاليف الشرعية، وفيما يترتب عليها من جزاءات وعقوبات: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ [النساء: ١٢٤].

هي كالرجل في حمل الأمانة في مجال الشؤون كلها إلا ما اقتضت الضرورةُ البشرية والطبيعة الجبليّة التفريقَ فيه، وهذا هو مقتضى مبدأ التكريم في الإسلام لبني الإنسان: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٠].

إخوةَ الإسلام، لقد أشاد الإسلام بفضل المرأة، ورفع شأنها، وعدّها نعمةً عظيمةً وهبةً كريمة، يجب مراعاتها وإكرامُها وإعزازها، يقول المولى جل وعلا: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ (٤٩) أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا﴾ [الشورى: ٤٩، ٥٠]، وفي مسند الإمام أحمد أن النبي ﷺ قال: «من كان له أنثى فلم يئدها ولم يُهنها ولم يؤثر ولده عليها أدخله الله الجنة». [ضعيف سنن أبي داود (١١٠٤)].

عناية الإسلام بالمرأة

المرأةُ في ظل تعاليم الإسلام القويمة، وتوجيهاتِه الحكيمة، تعيش حياةً كريمة، في مجتمعها المسلم، حياةً مِلؤها الحفاوةُ والتكريم من أولّ يوم تَقْدم فيه إلى هذه الحياة، ومُرورًا بكل حال من أحوال حياتها.

رعى حقَّها طفلةً، وحثَّ على الإحسان إليها، فعن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «من عال جاريتين حتى تبلُغا جاء يوم القيامة أنا وهو كهاتين» وضمَّ أصابعه. [مسلم (٢٦٣١)].

وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «من كان له ثلاث بنات فرباهن وصبر عليهن وكساهن من جدَته كُنَّ له حجابا من النار». [السلسلة الصحيحة (٢٩٤)].

رعى الإسلام حقَّ المرأة أُمًّا؛ فدعا إلى إكرامها إكرامًا خاصًا، وحثَّ على العناية بها: ﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾ [الإسراء: ٢٣].

بل جعل حقَّ الأمَ في البرَ آكدَ من حقِّ الوالد، جاء رجل إلى نبينا ﷺ فقال: يا رسول الله، من أبرّ؟ قال: «أمك»، قال: ثم من؟ قال: «أمك»، قال: ثم من؟ قال: «أمك»، قال: ثم من؟ قال: «أبوك» متفق عليه.

رعى الإسلامُ حقَّ المرأة زوجةً، وجعل لها حقوقًا عظيمة على زوجها، من المعاشرة بالمعروف والإحسان والرفق بها والإكرام، قال ﷺ: «ألا واستوصوا بالنساء خيرًا، فإنهن عوان عندكم» متفق عليه.

وفي حديث آخر أنه قال: «أكملُ المؤمنين إيمانًا أحسنُهم خُلُقًا، وخيارُكم خياركم لنسائه». [السلسلة الصحيحة (٢٨٤)].

رعى الإسلامُ حقَّ المرأة أختًا وعمَّةً وخالةً، فعند الترمذي وأبي داود: «ولا يكون لأحد ثلاثُ بنات أو أخوات فيُحسن إليهن إلا دخل الجنة». [حسنه الألباني في صحيح الأدب المفرد (٥٩)].

وفي حال كونِها أجنبيةً فقد حثَّ على عونها ومساعدتها ورعايتها، ففي الصحيحين قال ﷺ: «الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله، أو كالقائم الذي لا يفتُر، أو كالصائم الذي لا يفطِر». [البخاري (٦٠٠٧)، ومسلم (٢٩٨)].

معاشرَ المسلمين، المكانةُ الاجتماعية للمرأة في الإسلام محفوظةٌ مرموقة، منحها الحقوقَ والدفاعَ عنها، والمطالبةَ برفع ما قد يقع عليها من حرمان أو إهمال، يقول ﷺ: «إن لصاحب الحق مقالًا». [البخاري (٦٠٠٧)].

في شؤونها وفقَ الضوابط الشرعية والمصالح المرعية، قال جل وعلا: ﴿ وَلاَ تَعْضُلُوهُنَّ ﴾ [النساء:١٩]، وقال ﷺ: «لا تُنكح الأيم حتى تُستأمَر، ولا البكر حتى تستأذَن في نفسها». [البخاري (٥١٣٦)].

والزوجة تستشار

المرأةُ في نظر الإسلام أهلٌ للثقة، ومحلٌّ للاستشارة، فهذا رسول الله أكملُ الناس علما وأتمُّهم رأيًا يشاور نساءَه ويستشيرهن في مناسبات شتى ومسائل عظمى.

إخوةَ الإسلام، في الإسلام للمرأة حريةٌ تامة في مناحي الاقتصاد كالرجل سواءً بسواء، هي أهلٌ للتكسُّب بأشكاله المشروعة وطرقه المباحة، تتمتَّع بحرية التصرف في أموالها وممتلكاتها، لا وصايةَ لأحدٍ عليها مهما كان وأينما كان، قال عزَّ وجلَ: ﴿ وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ ﴾ [النساء: ٦].

بل إن الإسلامَ يفرض للمرأة من حيث هي ما يسمَّى بمبدأ الأمن الاقتصادي مما لم يسبِق له مثيلٌ ولا يجاريه بديل حينما كفل للمرأة النفقةَ أمًّا أو بنتًا أو أختًا أو زوجةً وحتى أجنبية، لتتفرَغ لرسالتها الأسمى وهي فارغةُ البال من هموم العيش ونصب الكدح والتكسُّب.

معاشر المؤمنين، هذه بعضُ مظاهر التكريم للمرأة في الإسلام، وذلك غيْضٌ من فيض وقبضةٌ من بحر.

ماذا يريدون من المرأة؟

أيها المسلمون، إن أعداءَ الإسلام تُقلقهم تلك التوجيهاتُ السامية، وتقضّ مضاجعهم هذه التعليمات الهادفة، لذا فهُم بأنفسهم وبمن انجرَ خلفهم في حديث لا يكلّ عن المرأة وشؤونها وحقِّها وحقوقها، كما يتصوّرون وكما يزعمون، مما يحمل بلاءً تختلف الفضائل في ضجَّته، وتذوب الأخلاق في أزمّته، دعواتٌ تهدف لتحرير المسلمة من دينها والمروقَ من إسلامها، مبادئُ تصادم الفطرة وتنابذ القيمَ الإيمانية. دعواتٌ من أولئك تنبثق من مبادئَ مُهلكةٍ ومقاييسَ فاسدة وحضاراتٍ منتنة، تزيِّن الشرورَ والفساد بأسماء برّاقة ومصطلحات خادعة. وللأسف تجد من أبناء المسلمين من في فكره عِوَجٌ وفي نظره خلل ينادي بأعلى صوتٍ بتلك الدعوات، ويتحمّس لتلك الأفكار المضلّلة والتوجُّهات المنحرفة، بل ويلهج سعيًا لتحقيقها وتفعيلها. لذا تجد أقلامَهم تُفرز مقتًا للأصيل من أصولهم والمجيد من تراثهم.

إخوة الإسلام، لقد عرف أعداءُ الإسلام ما يحمله هذا الدين للمرأة من سموِّ كرامةٍ وعظيم

صيانة، علموا أن في مقرراته المأصّلة أن الأصلَ قرارُ المرأة في مملكة منزلها، في ظل سكينة وطمأنينة، ومحيط بيوتٍ مستقرةٍ، وجوٍّ أسرة حانية. رأوا حقوقَ المرأة مقرونةً بمسؤوليتها في رعاية الأسرة، وخروجها في الإسلام من منزلها يؤخَذ ويمارَس من خلال الحشمة والأدب، ويُحاط بسياج الإيمان والكرامة وصيانة العرض، كما قال تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلاَ تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى﴾ [الأحزاب: ٣٣]، وكما قال ﷺ: «وبيوتهن خير لهن». [صحيح سنن أبي داود (٥٣٠)].

حينذاك ضاقوا من ذلك ذرعًا، فراحوا بكلِّ وسيلة وسعوا بكل طريقة ليخرجوا المرأةَ من بيتها وقرارها المكين وظلها الأمين، لتطلق لنفسها حينئذ العنانَ لكل شاردةٍ وواردة، ولهثوا لهثًا حثيثًا ليحرّروها من تعاليم دينها وقيم أخلاقها، تارةً باسم تحرير المرأة، وتارةً باسم الحرية والمساواة، وتارةً باسم الرقي والتقدم الكاذب. مصطلحاتٌ ظاهرها الرحمة والخير، وباطنُها شرٌّ يُبنى على قلب القيم، وعكس المفاهيم، والانعتاق من كل الضوابط والقيم والمسؤوليات الأسَرية والحقوق الاجتماعية، وبالتالي تُقام امرأةٌ تؤوَل إلى سلعةٍ تُدار في أسواق الملذّات والشهوات.

فالمرأةُ في نظر هؤلاء هي المتحرِّرةُ من شؤون منزلها وتربية أولادها، هي الراكضة اللاهثة في هموم العيش والكسب ونصب العمل ولفْت الأنظار وإعجاب الآخرين، ولو كان ذلك على حساب تدمير الفضيلة والأخلاق ،وتدمير الأسرة والقيم، فلا هي حينئذ بطاعة ربٍّ ملتزمةٌ، ولا بحقوق زوج وافية، ولا في إقامة مجتمع فاضلٍ مُسهِمة، ولا بتربية نشءٍ قائمةٌ.

إخوةَ الإسلام، تلك نظراتُهم تصبُّ في بواتق الانطلاق التامِّ والتحرُّر الكامل، الذي يُغرق الإنسانَ في الضياع والرذيلة وفقدان القيمة والهدف والغاية.

أما في الإسلام فالمرأة أهمُّ عناصر المجتمع، الأصلُ أن تكون مربِّيةً للأجيال، مصنعًا للأبطال، ومع هذا فالإسلام - وهو الذي يجعل للعمل الخيِّر منزلةً عظمى ومكانةً كبرى - لا تأبى تعاليمُه عملًا للمرأة في محيط ما تزكو به النفس، وتُقوَّم به الأخلاق، وتحفظ به المرأة كرامتَها وحياءها وعفّتها، وتصون به دينها وبدنَها وعرضها وقلبَها، وذلك من خلال ما يناسب فطرتَها ورسالتَها، وطبيعتَها ومواهبَها، وميولها وقدراتِها. ومن هذا المنطلق فالإسلام حينئذ يمنع المرأة وبكلِّ حزم من كلِّ عمل ينافي الدين، ويضادُّ الخلقَ القويم، فيشرط في عملها أن تكون محتشمةً وقورة، بعيدةً عن مظانِّ الفتنة، غيرَ بالرجال، ولا متعرِّضةٍ للسفور والفجور. ولئن أردنا حقيقةَ الواقعِ الذي يخالف ذلك المنهج الإسلامي فاسمع لأحد كُتَّاب الغرب وهو يقول: "إن النظام الذي يقضي بتشغيل المرأة في المعامل مهما نشأ عنه من الثروة للبلاد فإن نتيجتَه كانت هادمةً لبناء الحياة المنزلية؛ لأنه هاجم هيكلَ المنزل، وقوَّض أركانَ الأسرة، ومزَّق الروابط الاجتماعية"، وتقول أخرى وهي دكتورةٌ تحكي أزماتِ مجتمعها، تقول: "إن سبب الأزماتِ العائلية وسرَّ كثرةِ الجرائم في المجتمع هو أن الزوجة تركت بيتَها لتضاعف دخلَ الأسرة، فزاد الدخلُ وانخفض مستوى الأخلاق"، إلى أن قالت: "والتجاربُ أثبتت أن عودةَ المرأة إلى المنزل هي الطريقةُ الوحيدة لإنقاذ الجيل الجديد من التدهور الذي هو فيه". انتهى.

فيا أيها المسلمون، الحرصَ الحرصَ على تعاليم هذا الدين، والحذرَ الحذر من مزالق الأعداء الحاقدين.

عناية الإسلام بالمجتمع

إخوة الإسلام، من أوجُه عناية الإسلام بالمجتمع حرصُه على منع الإختلاط بين الرجال والنساء في أيِّ مجال وفي أيِّ شأن، ذلكم أنه وباءٌ خطير، ما أُصيبَ به مجتمع إلا ودبَّت فيه كلُّ بليَّة وعمَّ فيه الشرُّ والفساد، فما من جريمة نُهش فيها العرض وذُبح العفافُ وأُهدر الشرف إلاَّ وكانت الخيوطُ الأولى التي نُسجت فيها هذه الجريمة، وسهّلت سبيلها هي ثغرة حصلت في الأسلاك الشائكة التي وضعتها الشريعة في العلاقة بين الرجال والنساء، ومن خلال هذه الثغرة يدخل الشيطان ويقع الفساد.

ولنستمع لمقالة إحدى النساء التي عاشت في مجتمع الاختلاط، وهي تحكي تجارب بنات جنسها في مقال أسمته "امنعوا الاختلاط" قالت: "إن المجتمعَ العربيَّ كاملٌ وسليم، ومن الخليق بهذا المجتمع أن يتمسك بتعاليمه وتقاليده التي تقيِّد الفتاةَ والشابَّ في حدود المعقول"، إلى أن قالت: "لهذا أنصح بأن تتمسّكوا بتقاليدكم وأخلاقكم، وامنعوا الاختلاط، وقيِّدوا حريةَ الفتاة، بل ارجعوا إلى أصل الحجاب، فهو خيرٌ لكم من الإباحة والانطلاق والفجور" انتهى.

ألا فليتقِ اللهَ أهلُ الإسلام في مواليهم، وليحسبوا خطواتِ السير في حياتهم، وليحفظوا ما استرعاهم الله عليهم من رعاياهم، والحذر الحذر من التفريط والاستجابة لفتنة الاستدراج إلى مدارج الغواية والضلالة.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾[الأحزاب: ٥٣].

والحمد لله رب العالمين.

مختارات من علوم القرآن

النقط والشكل في القرآن الكريم

كتبه: مصطفى البصراتي

كان القرآن الكريم في الكَتْبَةِ الأولى ثم في مصاحف عثمان بغير نقط ولا شكل ولم يكن ثمَّة إشكال في هذا الجانب، إذ الأمة إنما تتلقى القراءة بالمشافهة، وعلى ذلك العمدة، والسلائق سليمة لا تحتاج إلى الشكل بالحركات، ولا إلى الإعجام بالنقط، وكان الحفاظ متوافرين.

وقد ساعد ذلك على صلاحية الكلمات التي فيها أكثر من قراءة لأداء ذلك، إلا أنه بعد فترة من الزمان، وبعد اتساع رقعة الإسلام، وبعد دخول أفواج من الأمم غير العربية في دين الله، كادت هذه السليقة أن تختفي تحت موجات غير العرب ولهجاتهم، حتى أدى ذلك إلى شيوع لكنات من اللحن في كتاب الله، وقد أحسن أولو الأمر بضرورة تحسين كتابة المصحف بالشكل والنقط وغيرهما مما يساعد على القراءة الصحيحة، وقد قيل إن أبا الأسود الدؤلي سمع قارئًا يقرأ قوله تعالى: ﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾ [التوبة: ٣]، فقرأها بجر اللام من كلمة «رسوله»، فأفزع هذا اللحنُ الشنيع أبا الأسود، وقال: عز وجه الله أن يبرأ من رسوله، ثم ذهب إلى زياد والي البصرة وقال له: قد أجبتك إلى ما سألت. وكان زياد قد سأله أن يجعل للناس علامات يعرفون بها كتاب الله، فتباطأ في الجواب حتى راعه هذا الحادث. وهنا جَدَّ جِدُّه، وانتهى به اجتهاده إلى أن جعل علامة الفتحة نقطة فوق الحرف، وجعل علامة الكسرة نقطة أسفله، وجعل علامة الضمة نقطة بين أجزاء الحرف، وجعل علامة السكون نقطتين.

ثم طفق الناس ينهجون منهجه، ثم امتدَّ الزمان بهم فبدؤا يزيدون ويبتكرون، حتى جعلوا للحرف المشدد علامة كالقوس، ولألف الوصل جرَّة فوقها أو تحتها أو وسطها، على حسب ما قبلها من فتحة أو كسرة أو ضمة، ودامت الحال على هذا حتى جاء عبد الملك بن مروان، فرأى بنافذ بصيرته أن يميز ذوات الحروف من بعضها، وأن يتخذ سبيله إلى ذلك التمييز بالإعجام والنقط.

وهنالك اضطرَّ أن يستبدل بالشكل الأول الذي هو النقط شكلاً جديدًا هو ما نعرفه اليوم من علامات الفتحة والكسرة والضمة والسكون.

والذي اضطره إلى هذا الاستبدال، أنه لو أبقى العلامات الأولى على ما هي عليه نقطًا، ثم جاءت هذه الأخرى نقطًا كذلك لتشابها، واشتبه الأمر فميز بين الطائفتين بهذه الطريقة قال أبو عمرو الداني في المحكم: اعلم أيدك الله بتوفيقه أن الذي دعا السلف رضي الله عنهم إلى نقط المصاحف، بعد أن كانت خالية من ذلك وعارية منه وقت رسمها وحين توجيهها إلى الأمصار ما شاهدوه من أهل عصرهم- مع قربهم من زمن الفصاحة- وما شاهد أهلها من فساد ألسنتهم واختلاف ألفاظهم، وتغيُّر طباعهم، ودخول اللحن على كثير من خواص الناس وعوامّهم وما خافوه مع مرور الأيام، وتطاول الأزمان من تزايد ذلك، وتضاعفه فيمن يأتي بعدُ، ممَّن هو- لا شك- في العلم والفصاحة والفهم والدراية دون من شاهدوه، ممَّن عرض له الفساد، ودخل عليه اللحن، لكن يرجع إلى نقطها ويصار إلى شكلها عند دخول الشكوك، وعدم المعرفة، ويتحقق بذلك إعراب الكلم، وتدرك به كيفية

الألفاظ.

ثم إنهم لما رأوا ذلك، وقادهم الاجتهاد إليه بَنَوْه على وصل القارئ للكلم، دون وقفه عليهن، فأعربوا أواخرهن لذلك؛ لأن الإشكال أكثر ما يدخل على المبتدئ المتعلم، والوهم أكثر ما يعرض لمن لا يبصر الإعراب ولا يعرف القراءة في إعراب أواخر الأسماء والأفعال، فلذلك بنوا النَّقْط على الوصل دون الوقف.

وأيضًا فإن القارئ قد يقرأ الآية والأكثر في نفس واحد، ولا يقطع على شيء من كلمها، فلابد من إعراب ما يصله من ذلك ضرورة.

والنقط تنقسم إلى قسمين: نقط إعراب، ونقط إعجام.

فنقط الإعراب (وهو ما نسميه بالتشكيل): هو العلامة الدالة على ما يعرض للحرف من حركة أو سكون أو شد أو مد إلى آخره، واختلف في أول من وضعه، فقيل: الخليل بن أحمد، وقيل: نصر بن عاصم ويحيى بن يعمر، وقيل: عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي أستاذ أبي عمرو بن العلاء.

والصحيح كما نص عليه جماعة من العلماء منهم أبو عمرو الداني، وأبو داود، وأبو حاتم: أن أول من وضعه (أبو الأسود الدؤلي) بأمر زياد بن أبي زياد والي البصرة في خلافة معاوية بن أبي سفيان.

وسبب وضعه: كما ذكر العلماء أن معاوية بعث إلى زياد يطلب منه إرسال ولده عبيد الله بن زياد فلما قدم عليه وكلمه معاوية وجده يلحن في الكلام، فرده إلى أبيه، وبعث إليه كتابًا يلومه فيه على وقوع ابنه في اللحن، فبعث زياد إلى أبي الأسود وقال له: إن الأعاجم قد أفسدوا لغة العرب فلو وضعت شيئًا يصلح الناس به كلامهم ويعربون به كلام الله. فامتنع أبو الأسود فأجلس زياد رجلًا في طريق أبي الأسود وقال له إذا مر بك أبو الأسود فاقرأ شيئًا من كتاب الله وتعمد اللحن فيه، فلما مر أبو الأسود قرأ الرجل: ﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾ بجر لام (رسوله). فقال أبو الأسود معاذ الله أن يبرأ من رسوله، ثم رجع إلى زياد وقال: قد أجبتك إلى طلبك، ورأيت أن أبدأ بإعراب القرآن. فاختار رجلاً من قبيلة عبد القيس، وقيل من قريش وقال له: خذ المصحف ومدادًا يخالف لونه لون المصحف، فإذا فتحت شفتي فانقط فوق الحرف نقطه، وإذا ضممتهما فانقط أمامه نقطه، وإذا كسرتهما فانقط تحته نقطه، وإذا أتبعته غنَّة (أي تنوينًا) فانقط نقطتين حتى أتى على آخر المصحف.

وعن أبي الأسود أخذ العلماء النقط، وأدخلوا عليه بعض التحسين إلى أن جاء عصر الدولة العباسية، وظهر العالم الجليل «الخليل بن أحمد» البصري فأخذ نقط أبي الأسود وأدخل عليه تحسينًا، فجعل علامة الفتح ألفًا صغيرة مبطوحة لأن الفتحة إذا أشبعت تولد منها ألف، وعلامة الضم واوًا صغيرة لأن الضمة إذا أشبعت تولد منها واو، وعلامة الكسر ياء صغيرة لأن الكسرة إذا أشبعت تولد منها ياء وهو المسمى الآن بالشكل وزاد على ذلك فجعل علامة للتشديد وهي رأس شين، وعلامة للسكون وهي رأس خاء، وأخرى للهمز، وعلامة للاختلاس والإشمام. وقيل إن علامات الشد والسكون والاختلاس والإشمام والهمز وضعت في عصر الدولة العباسية أي: بعد زمن الخليل وظل الأمر على ذلك مع إدخال بعض تحسين طفيف حتى عصرنا هذا.

نقط الإعجام (وهو ما نسميه بالتنقيط): هو العلامات التي تميز الحروف بعضها من بعض كي لا يلتبس معجم بمهمل. والحروف المعجمة خمسة عشر حرفًا وهي: (ب، ت، ث، ج، خ، ذ، ز، ش، ض، غ، ف،

ق، ن، ي).

وقد جرى العمل على عدم نقط الياء في خمسة أحوال:

الأولى: إذا كانت متطرفة نحو: محياي.

الثانية: إذا كانت صورة للهمز نحو: لئلا.

الثالثة: إذا كانت عوضًا عن حرف؛ سواء أكانت متوسطة نحو: هداهم أم متطرفة نحو: تهوى.

الرابعة: إذا كانت محذوفة لاجتماع مثلين وأريد إلحاقها سواء أكانت متوسطة نحو: النبيين، أم متطرفة نحو: يستحي.

الخامسة: إذا ألحقت للدلالة على الصلة نحو: به، كثيرا، فيه، هدى.

والحروف المهملة ثلاثة عشر حرفًا وهي: (ا، ح، د، ر، س، ص، ط، ع، ك، ل، م، هـ، و).

وقد اختلف في أول من وضع نقط الإعجام وأصح الأقوال أنه «نصر بن عاصم ويحيى بن يعمر» بأمر الحجاج بن يوسف الثقفي والي العراق من قبل أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان.

سبب وضعه: كما ذكر العلماء أنه لما كثرت الفتوحات الإسلامية، وكثر الداخلون في الإسلام من الأعاجم كثر تبعًا لذلك التحريف في لغة العرب، وخيف على القرآن الكريم أن يمتد إليه بعض التحريف أمر عبد الملك بن مروان أن يعمل الحجاج بن يوسف على أن لا يصل التحريف إلى حمى القرآن الكريم، فاختار الحجاج بن يوسف لتلك المهمة «نصر بن عاصم ويحيى بن يعمر»، وكانا من أبرز العلماء وقتئذ في فنون القراءات وتوجيهها، وعلوم اللغة العربية وأسرارها فوضعا ذلك النقط لتتميز عن نقط أبي الأسود.

ومن ذلك يعلم أن نقط الإعراب متقدم على نقط الإعجام لتقدم زمن زياد وأبي الأسود على زمن الحجاج ونصر بن عاصم ويحيى بن يعمر، والشكل متأخر على النقط بمعنييه لتأخر زمن الخليل عن زمن أبي الأسود ونصر بن عاصم ويحيى بن يعمر.

وموضوعه: العلامات الدالة على ما يعرض للحرف من وضع حركة وتركها ومحلها ولونها إلى غير ذلك.

وفائدته: إزالة اللبس عن الحروف، فلا يلتبس مشدد بمخفف، ولا ساكن بمتحرك، ولا مفتوح بمكسور ولا مضموم. والعلامات التي تضبط بها الحروف خمسة أشياء وهي:

١- الحركة.

٢- السكون.

٣- الشد.

٤- المد.

٥- الهمز.

ولكل منها هيئة مخصوصة، ولون مخصوص، ووضع مخصوص.

وهكذا فقد مرت عملية تحسين الرسم بمرحلتين: نقط الإعراب، وهو ما نسميه بالتشكيل، ونقط الإعجام وهو ما نسميه بالتنقيط، لم يعتبروا الشكل تنزيلا وإنما اعتبروه تعليمًا، فكانت المصاحف تختلف شكلا بحسب القراءة المتواترة التي ينهج عليها صاحب المصحف، ولا شك هنا أنه كان في العالم الإسلامي بدءًا من عصر أبي الأسود الدؤلي حتى زماننا هذا مصاحف مختلفة الشكل- حركات الإعراب والصَّرف- بحسب ما يؤدي إليه مقصد التواتر إسنادًا، فثمة مصحف مرسوم بما يوافق قراءة أبي عمرو، وآخر مرسوم بما يوافق قراءة نافع وهكذا. غاية الأمر أن هذه المصاحف متفقة في أصل الرسم العثماني قبل الشكل.

والله من وراء القصد.

أو تسريح بإحسان

إعداد/ فهد بن عبد الرحمن اليحيى
المحاضر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالقصيم

لئن كان كثير من الشباب يبنون عش الزوجية - لا سيما هذه - الأيام فإن من الشباب أيضاً من لا تبقى معه زوجته ولا قدر المدة التي قضاها في البحث عن زوجة.

والحديث عن الفراق بعد الزواج واسع الشُعب ، وإنما نصيب هذه الأسطر منه ضوابطه الشرعية الخافية على كثير منا ، وقلّ من رأيته يلتزم بها أو حتى بأكثرها .

لقد شرع الطلاق في الإسلام محدود النطاق مضبوطاً بضوابط إذا أخذ بها المسلم -وهو واجب عليه أن يأخذ بها - فإن طلاقه حينئذ يكون قراراً صادراً عن أناة ورويّة لا يندم بإذن الله بعده، لا كما يفعله البعض من جَعْل الطلاق تنفيساً عن غضبه وانتقاما من زوجته.

قال علي رضي الله عنه : لو أن الناس أخذوا بأمر الله في الطلاق ما تتبّع رجل نفسه امرأة يطلقها أبدًا. ذكره ابن القيم في بدائع التفسير .

فمن الضوابط التي شرعت في الطلاق:

أولا: أن يعلم الزوج أن الطلاق بغيض عند الله تعالى، وإنما يأمر به شياطين الجن والإنس كما ثبت عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «إن إبليس يضع عرشه على الماء، ثم يبعث سراياه، فأدناهم منه منزلة أعظمهم فتنة، يجيء أحدهم فيقول: فعلت كذا وكذا. فيقول: ما صنعتَ شيئا. قال: ثم يجيء أحدهم فيقول: ما تركته حتى فرقت بينه وبين امرأته، قال: فيدنيه منه ويقول: نِعْم أنت». قال الأعمش أراه قال: «فيلتزمه». أخرجه مسلم .

وروى أبوداود في سننه عن محارب بن دثار قال قال رسول الله ﷺ : «ما أحل الله شيئا أبغض إليه من الطلاق». والحديث رجاله ثقات لكنه مرسل .

ثم رواه موصولا عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال : «أبغض الحلال إلى الله تعالى الطلاق».

فنعلم من هذا أن الطلاق إنما أُبيح للحاجة توسعةً على المسلمين ورفعا للأغلال التي كانت على غيرهم كما عند النصارى، فإنه لا طلاق عندهم، وسواء كان من شريعة موسى عليه السلام فرفعه الله عنا رحمة بنا، أو كان من تحريفات النصارى فنزه الله شرعنا عنها كما قال تعالى ﴿ وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلاً مِنْ سَعَتِهِ وكان اللَّهُ واسِعًا حكِيمًا ﴾ [النساء: ١٣٠] بعد أن ذكر الوسائل التي يتمُّ بها لَمُّ الشمل وجمع الأسرة .

فلا يقدم عليه أصلا إلا عند الحاجة إليه فعلا، وحين لا تجدي الوسائل الأخرى شيئا من التفاهم بين الزوجين ومحاولة

رَأْب الصدْع ، والاغضاء عن العيوب، ومحاولة الإصلاح ولو بتدخل أحد من الخارج إن لزم الأمر كما قال سبحانه ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقْ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴾ [النساء: ٣٥].

ومن ذلك أن تحذَر الزوجة أن تطلب الطلاق من غير مسوِّغ شرعي، فقد رتّب الشارع على ذلك حرمان الجنة كما في سنن أبي داود والترمذي وابن ماجه عن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «أيما امرأة سألت زوجها الطلاق في غير ما بأس فحرام عليها رائحة الجنة» .

ثانيا : إذا عزم على الطلاق فلا يجوز له أن يطلقها إلا في طهر لم يجامعها فيه، أو أن تكون حاملا قد استبان حملها، أما طلاقها في حال الحيض أو في طهر جامعها فيه فهذا لا يجوز بالإجماع، قال ابن قدامه رحمه الله في المغني : «وأما المحظور فالطلاق في الحيض أو في طهر جامعها فيه؛ فهذا أجمع العلماء في جميع الأمصار وكل الأعصار على تحريمه ويسمى طلاق البدعة» ا.هـ .

وقد روى الدارقطني (٤/٥) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : «الطلاق على أربعة وجوه؛ وجهان حلال ووجهان حرام، فأما الحلال: فأن يطلقها طاهرا عن غير جماع وأن يطلقها حاملا مستبينا حملها، وأما الحرام: فأن يطلقها وهي حائض أو يطلقها حين يجامعها لا تدري أشتمل الرحم على ولد أم لا».

وقد دل على تحريم طلاق الحائض مع الإجماع قصة ابن عمر رضي الله عنهما في الصحيحين حين طلق امرأته وهي حائض فغضب النبي ﷺ وأمره أن يراجعها وقال فيها : «فليطلقها من قبل أن يجامعها»، وفي رواية لمسلم فقال النبي ﷺ : «مره فليراجعها ثم ليطلقها طاهرا أو حاملا».

وهنا تتجلى حكمة هذا الدين حين يمنع المسلم من طلاق امرأته في حال الطهر الذي جامعها فيه؛ فإنه يكون قد قضى نَهْمته منها وإن كان من الحكمة في ذلك أيضا ألاّ تطول عليها العدة .

والمرأة حال الحيض تتغير حالتها الجسمية والنفسية، فتكون كالمريضة، وتكون عصبية سريعة الانفعال، ولذا لم يشرع الله الطلاق إلا في حال كمال الرغبة في المرأة وهو حال الطهر الذي لم يجامعها فيه، فيكون قرار الرجل بالطلاق صادرًا عن قناعة حقيقية، أو في حال كونها حاملا قد استبان حملها فلعل الولد يمنعه من طلاقها .

ثالثا:إذا أراد أن يطلق فلا يجوز له أن يطلق إلا طلقة واحدة، أما جمع الطلاق دفعة واحدة فإن أكثر العلماء- حتى وإن قالوا بوقوعه- لا يقولون بجوازه، بل هو محرم وتلاعب بكتاب الله كما جاء في بعض الأحاديث . بل ولا يجوز له أن يجمع أكثر من طلقة واحدة في طهر واحد وإن لم يكن دفعة واحدة .

فعن عبد الله بن مسعود قال : «طلاق السنة أن يطلقها في كل طهر تطليقة، فإذا كان آخر ذلك فتلك العدة التي أمر الله بها». أخرجه الدارقطني (٤/٥) .

رابعا :من الضوابط أن طلاق الغضبان الذي قد ذهب عقله من الغضب؛ فلا يعلم ما يقول لا يقع بالاتفاق كما حكاه شيخ الإسلام رحمه الله، وكذا طلاق السكران والمكره وكل هذا للحدِّ من دائرة الطلاق فضلا من الله ورحمة .

خامسا : أن تعليق الطلاق ليس من هدي السلف رحمهم الله.

والمقصود بتعليق الطلاق: أن يقول مثلا: إن فعلتِ كذا فأنت طالق. أو يعلقه على فعل نفسه كأن يقول : امرأتي طالق إن كلمتُك، أو يأتي به على صيغة أخرى كأن يقول: عليّ الطلاق لأفعلنّ كذا أو لا أفعلُ كذا .

وكل هذه الصيغ تعتبر من قبيل تعليق الطلاق، وتسمى أيضا الحلف بالطلاق، وللعلماء تفصيل فيما يقع به الطلاق من هذه الصيغ، غير أن ما يجب أن نعلمه حتى على القول بوقوع الطلاق به مطلقا أنها صيغ لا تنبغي بل الواجب اجتنابها وهي تنافي مقصود الطلاق والحكمة منه ؛ إذ لا معنى لتعليقه بفعلٍ ما فهو إن كان قرارًا مدروسا قد ترجحت مصلحته فليكن باللفظ المعهود المنجز وليس المعلق، وإن كان يترتب على فعل ما فإذا وقع ذلك الفعل أوقعه ولا حاجة لهذا التعليق الذي لا يصدر في الأعمِّ الأغلب إلا عن غضب ومخاصمة .

سادسا :من ضوابط الطلاق ـ وهو من أهمها، ويخفى على فئام من الناس ـ أن الرجل إذا طلق امرأته فلا يجوز له أن يخرجها من بيتها ، وليس لها أن تخرج ، بخلاف ما يفعله الكثيرون من تطليقهم نساءهم وإخراجهن إلى بيوت أهاليهن، فإن هذا خلاف ما أمر الله تعالى به. قال سبحانه: ﴿ لاَ تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلاَ يَخْرُجْنَ إِلاَّ أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لاَ تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا ﴾ [الطلاق : ١].

قال ابن كثير رحمه الله : قوله تعالى ﴿ لاَ تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلاَ يَخْرُجْنَ ﴾ أي: في مدة العدة لها حق السكنى على الزوج ما دامت معتدة منه فليس للرجل أن يخرجها ولا يجوز لها أيضا الخروج لأنها معتقلة لحق الزوج أيضا. وقوله تعالى: ﴿ إلا أن يأتين بفاحشة مبينة ﴾ أي: لا يخرجن من بيوتهن إلا أن ترتكب المرأة فاحشةً مبينة فتخرج من المنزل، والفاحشة المبينة: تشمل الزنا وتشمل ما إذا نشزت المرأة أو بذَت على أهل الرجل وآذتهم في الكلام والفعال . انتهى مختصرا .

فأما ما نراه في الواقع فعلى العكس؛ حيث ترى الزوج يسارع في الطلاق حين يغضب ثم يقول لامرأته: اذهبي لأهلك. أو يأخذها مباشرةً ليرمي بها رميا عند أهلها دون مراعاة لأوامر الله عز وجل ودون أدنى رحمة بالمرأة .

فلو أنه حين عزم على طلاقها امتثل أمر الله فابقاها بعد تطليقها في بيتها ـ وهو بيته الذي طلقها فيه ـ مدة العدة، وهي قريبة من ثلاثة أشهر عند عامة النساء؛ فإنه حرىً بإذن الله أن تسكن نفسه، ويذهب ما في قلبه، ويراجعها، لاسيما أن المرأة لها في هذا الحال أن تتجمل له وأن ينظر إليها بل له أن يطأها إذا نوى بهذا الوطء الرجعة كما ذكر العلماء فترجع بذلك ويلتئم الجرح ويجتمع الشمل .

وإن المطلقة الرجعية «وهي التي لم يصل طلاقها الثلاث» زوجة بالإجماع لها ما للزوجات، وعليها ما عليهن ما عدا القَسْم، ولذا لو مات وهي في العدة ورثته بالإجماع .

فبالله عليكم هل أخذ المطلّقون نساءهم بهذه الضوابط ؟

أكادُ أجزم أن السواد الأعظم لم يأخذ بها ولو أننا أخذنا بها لتراجعت نسبة الطلاق كثيرا ولرجعت كثير من المطلقات إلى أزواجهنّ.

فما أحكمَ الشرعَ الحكيمَ وحُكمَه ..

والله من وراء القصد

عقوق الوالدين (أسبابه..

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد:

فإن حق الوالدين عظيم، ومنزلتهما عالية في الدين؛ فبرّهما قرين التوحيد، وشكرهما مقرون بشكر الله عز وجل، والإحسان إليهما من أجلّ الأعمال، وأحبها إلى الكبير المتعال.

قال الله عز وجل: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [النساء: ٣٦].

وقال عز وجل: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الأنعام: ١٥١].

وقال الله تبارك وتعالى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا (٢٣) وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٣، ٢٤].

وقال الله عز وجل: ﴿وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ [لقمان: ١٤]

ثم إن الأحاديث في هذا السياق كثيرة جدًا، منها ما رواه ابن مسعود رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ: أي العمل أحب إلى الله؟ قال: «الصلاة على وقتها». قلت: ثم أيٌّ؟ قال: «بر الوالدين». قلت: ثم أيّ؟ قال: «الجهاد في سبيل الله».

ثم إن بر الوالدين مما أقرته الفطر السوية، واتفقت عليه الشرائع السماوية، وهو خلق الأنبياء، ودأب الصالحين.

كما أنه دليل على صدق الإيمان، وكرم النفس، وحسن الوفاء.

وبرّ الوالدين من محاسن الشريعة الإسلامية؛ ذلك أنه اعتراف بالجميل، وحفظ للفضل، وعنوان على كمال الشريعة، وإحاطتها بكافة الحقوق.

بخلاف الشرائع الأرضية التي لا تعرف للوالدين فضلاً، ولا ترعى لهما حقًا، بل إنها تتنكر لهما، وتزري بهما.

وها هو العالم الغربي بتقدمه التقني شاهد على ذلك؛ فكأن الأم في تلك الأنظمة آلة إذا انتهت مدة صلاحيتها ضرب بها وجه الثرى.

وقصارى ما تَفَتَّقت عنه أذهانهم من صور البر أن ابتدعوا عيدًا سنويًا سموه: «عيد الأم».

حيث يُقدِّم الأبناء والبنات في ذلك اليوم إلى أمهاتهم باقات الورد معبرين لهن عن الحب والبرّ.

هذا منتهى ما توصلوا إليه من البر، يوم في السنة لا غير! أين الرعاية؟ وأين التراحم؟ وأين

مظاهره.. سُبل العلاج)

الحلقة الأولى

إعداد / محمد بن إبراهيم الحمد

الوفاء؟!

لا علم لهم بتلك المعاني الشريفة الفاضلة، ولا حظَّ لها عندهم.

أما حق الوالدين في الإسلام فقد مرَّ بك شيء منه، وليس ذلك فحسب، بل إن الإسلام نهى عن العقوق، وحذر منه أشد التحذير، فهو كبيرة من الكبائر، وهو قرين للشرك.

ويكفي في ذلك قوله تعالى: ﴿فَلاَ تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا﴾ [الإسراء: ٢٣].

فما بالك بما فوق كلمة «أف».؟

والأحاديث في هذا السياق كثيرة جدًا، ومنها ما جاء في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن النبيِّ ﷺ قال: «الكبائر: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وقتل النفس، واليمين الغموس». [رواه البخاري (٦٦٧٥)].

ومع تلك المكانة للوالدين، وبرغم ما جاء من الأمر الأكيد في برهما، والزجر الشديد في النهي عن عقوقهما، إلا أن فئامًا من الناس قد نسيت حظًا مما ذُكِّرت به، فلم تَرْعَ حق الوالدين، ولم تبالِ بالعقوق.

عقوق الوالدين

تعريف العقوق: ضدُّ البر. قال ابن منظور رحمه الله: «وعقَّ والدهَ يَعُقُّه عقًا ومعقَّةً: شق عصا طاعته، وعق والديه: قطعهما ولم يصل رَحِمَهُ منهما».

وقال: «وفي الحديث أنه ﷺ نهى عن عقوق الأمهات، وهو ضد البر، وأصله من العق: الشق والقطع» [لسان العرب (١٠/٢٥٦، ٢٥٧)].

من مظاهر عقوق الوالدين

عقوق الوالدين يأخذ مظاهر عديدة، وصورًا شتى، منها ما يلي:

١- إبكاء الوالدين وتحزينهما: سواء بالقول أو الفعل، أو بالتسبب في ذلك.

٢- نهرهما وزجرهما: وذلك برفع الصوت، والإغلاظ عليهما بالقول، قال تعالى: ﴿وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا﴾ [الإسراء: ٢٣].

٣- التأفف، والتضجر من أوامرهما: وهذا مما أدبنا الله عز وجل بتركه، فكم من الناس مَنْ إذا أمره والداه، صدَّر كلامه بكلمة «أف» ولو كان سيطيعهما، قال تعالى: ﴿فَلاَ تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ﴾ [الإسراء: ٢٣].

٤- العبوس، وتقطيب الجبين أمامهما: فبعض الناس تجده في المجالس بشوشًا، مبتسمًا، حسن الخلق، ينتقي من الكلام أطايبه، ومن الحديث أعذبه، فإذا ما دخل المنزل، وجلس بحضرة الوالدين انقلب ليثًا هصورًا لا يلوي على شيء، فتبدلت حاله، وذهبت وداعته، وتولت سماحته، وحلت غلظته وفظاظته وبذاءته، يصدق على هذا قول القائل:

من الناس من يصل الأبعدين
ويشقى به الأقربُ الأقربُ

٥- النظر إلى الوالدين شزرًا: وذلك برمقهما بحنق، والنظر إليهما بازدراء واحتقار.

قال معاوية بن إسحاق عن عروة بن الزبير قال: «ما برَّ والدَه مَنْ شدَّ الطرفَ إليه». [سير أعلام النبلاء (٤/٤٣٣)].

٦- أمرهما ونهيهما: كمن يأمر والدته بكنس المنزل، أو غسل الثياب، أو إعداد الطعام، فهذا العمل لا يليق خصوصًا إذا كانت الأم عاجزةً، أو كبيرةً، أو مريضةً.

أما إذا قامت الأم بذلك بطوعها وبرغبة منها وهي نشطة غير عاجزة، فلا بأس في ذلك، مع مراعاة شكرها، والدعاء لها.

٧- انتقاد الطعام الذي تعده الوالدة: وهذا العمل فيه محذوران، أحدهما: عيب الطعام، وهذا لا يجوز، فرسول الله ﷺ ما عاب طعامًا قط، إن أعجبه أكل، وإلا تركه.

والثاني: أن فيه سوء أدب مع الأم، وتكديرًا لها.

٨- ترك مساعدتهما في عمل المنزل: سواء في الترتيب والتنظيم، أو في إعداد الطعام، أو غير ذلك.

بل إن بعض الأبناء- هداهم الله- يعد ذلك نقصًا في حقه وهضمًا لرجولته.

وبعض البنات- هداهن الله- ترى أمها تعاني وتكابد العمل داخل المنزل، فلا تعينها.

بل إن بعضهن تقضي الأوقات الطويلة في محادثة زميلاتها عبر الهاتف، تاركة أمَّها تعاني الأمَرَّيْن.

٩- الإشاحة بالوجه عنهما إذا تحدثا: وذلك بترك الإصغاء إليهما، أو المبادرة إلى مقاطعتهما أو تكذيبهما، أو مجادلتهما، والاشتداد في الخصومة والملاحاة معهما.

فكم في هذا العمل من تحقير لشأن الوالدين، وكم فيه من إشعار لهما بقلة قدرهما.

١٠- قلة الاعتداد برأيهما: فبعض الناس لا يستشير والديه، ولا يستأذنهما في أي أمر من أموره، سواء في زواجه، أو طلاقه، أو خروجه من المنزل والسكنى خارجه، أو ذهابه مع زملائه لمكان معين، أو نحو ذلك.

١١- ترك الاستئذان حال الدخول عليهما: وهذا مما ينافي الأدب معهما، فربما كان أحدهما أو كلاهما في حالة لا يرضى أن يراه أحد عليها.

١٢- إثارة المشكلات أمامهما: سواء مع الإخوان أو الزوجة، أو الأولاد، أو غيرهم.

فبعض الناس لا يطيب له معاتبة أحد من أهل البيت على خطأ ما- إلا أمام والديه، ولا شك أن هذا الصنيع مما يقلقهما، ويُقِضُّ مضجعهما.

١٣- ذم الوالدين عند الناس والقدح فيهما، وذكر معايبهما: فبعض الناس إذا أخفق في عمل ما- كأن يخفق في دراسته مثلاً- ألقى باللائمة والتبعة على والديه، ويبدأ يسوغ إخفاقه ويلتمس المعاذير لنفسه بأن والديه أهملاه، ولم يربياه كما ينبغي، فأفسدا عليه حياته، وحطما مستقبله، إلى غير ذلك من ألوان القدح والعيب.

١٤- شتمهما ولعنهما: إما مباشرة، أو بالتسبب في ذلك؛ كأن يشتم الابن أبا أحدٍ من الناس أو أمه، فيرد عليه بشتم أبيه وأمِّه.

فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «من الكبائر شتم الرجل والديه». قيل: وهل يَشْتِمِ الرجل والديه؟! قال: «نعم، يسب أبا الرجل فيسب أباه، ويسب أمَّه فيسب أمه». [رواه البخاري (٥٩٧٣)، ومسلم (٩٠)].

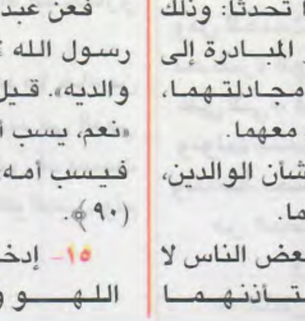

١٥- إدخال المنكرات للمنزل: كإدخال آلات اللهو والفساد للبيت، مما يتسبب في فساد الشخص نفسه، وربما تعدى ذلك إلى فساد إخوته وأهل بيته عمومًا، فيشقى الوالدان بفساد الأولاد، وانحراف الأسرة.

١٦- مزاولة المنكرات أمام الوالدين: كشرب الدخان أمامهما، أو استماع آلات اللهو

إذا أيقظاه، وكذلك إدخال رفقة السوء للمنزل، فهذا كله دليل على التمادي في قلة الحياء مع الوالدين.

١٧- تشويه سمعة الوالدين: وذلك باقتراف الأعمال السيئة، والأفعال الدنيئة، التي تخل بالشرف، وتخرم المروءة، وربما قادت إلى السجن والفضيحة، فلا شك أن هذا من عقوق الوالدين؛ لأنه يجلب لهما الهم والغم والخزي والعار.

١٨- إيقاعهما في الحرج: كحال من يستدين أموالاً ثم لا يسددها، أو يسيء الأدب في المدرسة، فتضطر الجهات المسئولة إلى إحضار الوالد في حالة فقدان الولد.

وربما حُبِسَ الوالد ريثما يسدد الولد دينه، أو يَحضُر ويسلّم نفسه.

١٩- المكث طويلاً خارج المنزل: وهذا مما يقلق الوالدين ويزعجهما على الولد، ثم إنهما قد يحتاجان للخدمة، فإذا كان الولد خارج المنزل لم يجدا من يقوم على خدمتهما.

٢٠- الإثقال عليهما بكثرة الطلبات: فمن الناس من يثقل على والديه بكثرة طلباته، مع أن الوالدين قد يكونان قليلي ذات اليد، ومع ذلك ترى الولد يُلِحُّ عليهما بشراء سيارة له، وبأن يزوجاه، ويوفرا له مسكنًا جديدًا، أو بأن يطلب منهما مالاً كثيرًا؛ كي يساير زملاءه وأترابه.

٢١- إيثار الزوجة على الوالدين: فبعض الناس يقدم طاعة زوجته على طاعة والديه، ويُؤثرها عليهما، فلو طلبت منه أن يطرد والديه لطرَدَهما ولو كانا بلا مأوى.

وترى بعض الأبناء يبالغ في إظهار المودة للزوجة أمام والديه، وتراه في الوقت يرعى حقهما.

٢٢- التخلي عنهما وقت الحاجة وعند كبرهما: فبعض الأولاد إذا كبر وصار له عمل يتقاضى مقابله مالاً تخلى عن والديه، واشتغل بخاصة نفسه.

٢٣- التبرؤ منهما، والحياء من ذكرهما ونسبته إليهما: وهذا من أقبح مظاهر العقوق، فبعض الأولاد ما إن يرتفع مستواه الاجتماعي، أو يترقى في الوظائف الكبيرة إلا ويتنكر لوالديه، ويتبرأ منهما، ويخجل من وجودهما في بيته بأزيائهما القديمة.

وربما لو سئل عنهما لقال: هؤلاء خدم عندنا!!

وبعضهم يرفض أن يذكر اسم والده في الولائم والمناسبات العامة؛ خجلاً من ذلك، وهذا العمل - بلا ريب - دليل على ضعة النفس، وصغر العقل، وحقارة الشأن، وإلا فالنفس الكريمة الأبية تعتز بمنبتها، وأصلها، والكرام لا ينسون الجميل.

إن الكرام إذا ما أيسروا ذَكروا
من كان يألفهم في المنزل الخشِنِ

٢٤- التعدي عليهما بالضرب: وهذا العمل لا يصدر إلا من غلاظ الأكباد، وقساة القلوب، الذين خلت قلوبهم من الرحمة والحياء، وخوت نفوسهم من أدنى مراتب المروءة والنخوة والشهامة.

٢٥- إيداعهم دور العجزة والملاحظة: وهذا الفعل غاية في البشاعة، ونهاية في القبح والشناعة، يقشعر لهوله البدن، والذي يفعله لا خير فيه البتّة.

٢٦- هجرهما، وترك برهما ونصحهما إذا كانا متلبسين ببعض المعاصي:

وهذا خلل وخطل؛ فبر الوالدين واجب ولو كانا كافرين، فكيف إذا كانا مسلمين، وعندهما بعض التقصير؟!

٢٧- البخل والتقتير عليهما: فمن الناس من يبخل على والديه، ويقتر عليهما في النفقة.

وربما اشتدت حاجتهما إلى المال، ومع ذلك لا يعبأ ولا يبالي بهما.

٢٨- المنةُ وتعداد الأيادي على الوالدين: فمن الناس من قد يبر والديه، ولكنه يفسد ذلك بالمنّ والأذى، وتعداد الأيادي، وذكر ذلك البر بمناسبة وبدون مناسبة.

٢٩- السرقة من الوالدين: وهذا الأمر جمع بين محذورين، السرقة والعقوق؛ فتجد من الناس من يحتاج للمال، فيقوده ذلك إلى السرقة من والديه إما لكبرهما، أو لغفلتهما.

ومن صور السرقة أن يخدع أحد والديه، فيطلب منه أن يوقع على إعطائه كذا وكذا من المال أو الأرض أو نحو ذلك. وقد يستدين منهما، وهو مُبَيِّتٌ النية على ألا يسدد.

٣٠- الأنين وإظهار التوجع أمامهما: وهذا الأمر من أخس صور العقوق؛ ذلك أن الوالدين - وخصوصًا الأم - يقلقان لمصاب الولد، ويتألمان لألمه؛ بل ربما يتألمان أكثر منه.

٣١- التغرُّب عن الوالدين دون إذنهما، ودون الحاجة إلى ذلك: فبعض الأبناء لا يدرك أثر بعده عن والديه؛ فتراه يسعى للغربة والبعد عن الوالدين دون أن يستأذنهما، ودون أن يحتاج إلى الغربة، فربما ترك البلد الذي يقطن فيه والداه دون سبب، وربما تغرّب للدراسة في بلد آخر، مع أن تلك الدراسة ممكنة في البلد الذي يسكن فيه والده، إلى غير ذلك من الأسباب التي لا تُسوغ غربته.

وما علم أن اغترابه عن والديه يسبب حسرتهما، وقلقهما عليه، وما علم أنه ربما مات والداه أو أحدهما وهو بعيد عنهما باختياره، فيخسر بذلك برّهما، والقيام عليهما.

أما إذا احتاج الابن إلى الغربة، واستأذن والديه فيها- فلا حرج عليه.

٣٢- تمني زوالهما: فبعض الأولاد يتمنى زوال والديه؛ ليرثهما إن كانا غنيَّين، أو يتخلص منهما إن كانا مريضين أو فقيرين، أو لينجو من مراقبتهما ووقوفهما في وجهه كي يتمادى في غيِّه وجهله.

٣٣- قتلهما والتخلص منهما: فقد يحصل أن يشقى الولد، فيقدم على قتل أحد والديه؛ إما لِسَوْرَةِ جهل، أو ثورة غضب، أو أن يكون في حال سكر، أو طمعًا في الميراث، أو غير ذلك.

فيا لشؤم هذا، ويا لسواد وجهه، ويا لسوء مصيره وعاقبته، إن لم يتداركه الله برحمته.

هذه بعض المظاهر والصور لعقوق الوالدين، ذلك العمل القبيح، والمسلك الشائن، الذي لا يليق بأولي الألباب، ولا يصدر من أهل التقى والصلاح والرشاد.

فما أبعد الخير عن عاق والديه، وما أقرب العقوق منه، وما أسرع الشر إليه.

وهذا أمر مشاهد محسوس، يعرفه كثير من الناس، ويرونه أعينهم، ويسمعون قصصًا متواترة لأناس خذلوا وعوقبوا؛ بسبب عقوقهم لوالديهم.

والله المستعان.

مفاهيم عقائدية

الكفر

(مفهومه - أقسامه - ضوابطه)

إعداد: أسامة سليمان

أولا: مفهوم الكفر

الكفر لغة: هو الستر والتغطية، لذلك فالزارع يُسمى كافرًا؛ لأنه يغطي الحبَّ في الأرض، والليلُ يُسمى كافرًا؛ لأنه يستر الأشياء ويغطيها.

يقول سبحانه وتعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الحْيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ﴾ [الحديد: ٢٠].

الكفر شرعًا: ضد الإيمان. أي: عدم الإيمان بالله ورسوله، سواء كان معه تكذيب أو إعراض أو كِبر أو حسد.

ثانيا: أقسام الكفر

باستقراء النصوص الشرعية نجد أن الكفر ينقسم إلى قسمين:

١- كفر أكبر، يُخرج من الملة.

٢- كفر أصغر، لا يُخرج من الملة.

القسم الأول: الكفر الاعتقادي، أو الكفر الأكبر.

وهو يُحبط العمل، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِالإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ﴾ [المائدة: ٥]، وهذا القسم يخلِّد صاحبه في نار جهنم، ويبيح الدم والمال ويمنع الموالاة، بل يجب على المؤمن أن يعادي صاحبه، فموالاته حرام وإن كان أقرب الأقربين، قال تعالى: ﴿لاَ تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة: ٢٢].

وينقسم هذا القسم إلى خمسة أقسام:

١- كفر التكذيب: ومعناه تكذيب ما أنزل الله من كتاب وسنة، وكلاهما وحي- كما هو معلوم- قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٣]. وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٨].

٢- كفر الشك وعدم اليقين: فمن شك في أي ركن من أركان الإيمان فهو كافر، يقول سبحانه: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا﴾ [الحجرات: ١٥].

ومن ذلك؛ الشك في قدرة الله على البعث، أو الشك في وجود الملائكة، أو الشك في وجود الجنة والنار، أو بعثة الرسل، وفي ذلك يقول سبحانه حكاية عن أحد الشاكِّين: ﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا﴾ [الكهف: ٣٦]، فلما قال ذلك، قال له صاحبه: ﴿أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً﴾ [الكهف: ٣٧].

٣- كفر الاستكبار والإباء: فمن ردَّ أمر الله، أو أمر رسوله ﷺ كِبْرًا أو إباءً فهو كافر، وإن صدَّق بقلبه بربوبيته سبحانه، فإبليس اللعين كفر من هذا الباب؛ فمع تصديقه بربوبية الله عزَّ وجلَّ، إلا أنه رد الأمر على الله استكبارًا، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٣٤].

٤- كفر الإعراض: ومعناه: الإعراض عما أنزل الله، وعدم الاعتناء أو الاهتمام به، والانصراف عنه، يقول جل شأنه: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنْذِرُوا مُعْرِضُونَ﴾ [الأحقاف: ٣].

٥- كفر النفاق: وهو عدم تصديق القلب مع ظهور الإسلام ظاهرًا، يقول سبحانه في شأن المنافقين: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَفْقَهُونَ﴾ [المنافقون: ٣].

القسم الثاني: الكفر الأصغر

وهو لا يُخرج صاحبه من الملة، ولا يُحبط الأعمال كلية، وإنما قد يُنقصها.

وصاحبه متوَّعد بالعقاب، ولا يُخلَّد في نار جهنم إن دخلها، وقد لا يدخلها برحمة الله ومغفرته وإن استحقها، ودمه وماله حرام، وصاحبه يوالى بقدر ما معه من الإيمان، ويعادى بقدر ما معه من معصية.

ومن أمثلة ذلك القسم: ما جاء في بعض النصوص الشرعية من تسمية المعاصي كفرًا مثل «كفران العشير، وكفران النعمة».

قال شيخ الإسلام رحمه الله: «إن القول قد يكون كفرًا فنطلق القول بتكفير صاحبه، ويقال: من قال ذلك فهو كافر، لكن الشخص المعين الذي قال لا يكفر حتى تقوم عليه الحجة» إلى أن قال: «وهذا كما في نصوص الوعيد، يقول سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا...﴾ [النساء: ١٠]، فالنص حق، لكن الشخص المعين قد لا يلحقه هذا الوعيد؛ لفوات شرط أو ثبوت مانع، كأن لا يعلم بحرمة الفعل، أو أن يتوب من الفعل قبل موته، أو يكون له حسنات تمحو عقوبة ذلك المحرم، أو يُبتلى بمصائب تكفِّر الفعل، أو يشفع فيه شفيع مُطاع».

ويقول صاحب «الطحاوية»: «إن الأقوال الباطلة المبتدعة المحرَّفة، المتضمنة نفي ما أثبته الرسول ﷺ أو إثبات ما نفاه، أو الأمر بما نهى عنه، أو النهي عما أمر به، يقال فيها الحق، ويثبت لها الوعيد الذي دلَّت عليه النصوص، ويبيَّن أنها كفر، ويقال من قالها فهو كافر، وإنما الشخص المعين إذا قيل: هل تشهدون أنه من أهل الوعيد، وأنه كافر؟ فهذا لا نشهد عليه إلا بأمر تجوز فيه الشهادة، فإنه من أعظم البغي أن يشهد على معيَّن أن الله لن يغفر له ولن يرحمه، بل يخلده في النار، ولأن المعيَّن قد يكون مجتهدًا مخطئًا، وقد يكون له حسنات ماحية».

وعلى ذلك فقد يكون القول كفرًا، ولكن القائل لا يكفر إلا بعد انتفاء الموانع، واستيفاء الشروط، فإلقاء المصحف في مكان نجس كفر بلا شك؛ لأنه تحقير لكتاب الله واستخفاف به، فالعمل هنا كفر بلا مراء، أما فاعله فقد لا يكفر؛ إما لجهله أنَّ ما ألقاه مصحف، أو لا يدري ما ألقاه فيه لانعدام بصره، فعند ذلك يُعذر لعدم العلم. ولذلك وجب الاحتياط في تكفير المعين، مع ملاحظة أن هناك أعمالاً صريحة الكفر؛ كمن يدَّعي أنه إله مع الله، ويعطي نفسه حق التحليل والتحريم، أو يقول بِقِدَم العالم، أو يصدِّق من أنكر وجود الله.

ولأن الإيمان والكفر محلهما القلب، ولا يعلم ما في القلوب إلا علام الغيوب سبحانه، كان الحكم بالقرائن الظاهرة في الغالب حكمًا ظنيًا وليس يقينيًا، ولذلك كان الواجب أن يعلم أن القلب انشرح لهذا الكفر واستراح له، يقول سبحانه: ﴿وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا﴾ [النحل: ١٠٦].

فالمؤمن لا يكون كافرًا إلا إذا قصد الكفر واختاره، ولذلك كان السلف يقولون: من قال كذا. أما الشخص المعين فيُلغَى حكم الوعيد فيه بتوبة، أو حسنات ماحية، أو مصائب مكفرة، أو شفاعة مقبولة.

هذا بالإضافة إلى أن الأمور المكفرة تختلف في قوة دلالاتها، فمنها ما يدل على الكفر بصريح العبارة، ومنها ما يدل على الكفر بما يلزم منه، لا بصريح العبارة.

ومن أهم المسائل في تلك القضية: مسألة الحكم على الظاهر، فالحكم على الفعل الظاهر بأنه كفر متعلق ببيان الحكم الشرعي مطلقًا، أما الفاعل فلا بد من النظر إلى قصده فيما فعل، والتبين عن حالته في ذلك قبل الجزم بتكفيره، والمقصود بالقصد بالفعل هو غاية الفاعل من فعله، والباعث عليه، والدافع له على الحقيقة، ومراده منه.

فالقصد بالفعل: هو النية التي ينبني عليها الثواب والعقاب، والمدح والذم، فالنية هي التي تحدد مراتب الأعمال، ولذلك فأهل السنة والجماعة يقولون: إن التلازم بين الظاهر والباطن ليس على إطلاقه، ولكن مع توفر الشروط، وانتفاء الموانع. فالعمل والنية عندهم مرتبطان، فلا يكفي في الحكم على معين، مجرد العمل الظاهر بإطلاق، كما لا يكفي في الحكم عليه مجرد الباطن إن عُلم، بل لابد من العمل الظاهر مع التحقق من القصد.

وللظاهر مع القصد أحوال مختلفة:

١- أن يكون العمل الظاهر غير دال على القصد، فالعمل الظاهر ليس كفرًا، والمقصود به كفر.

٢- العمل الظاهر كفر، ولا يحتمل في القصد إلا كفرًا.

٣- العمل الظاهر محتمل، كفرًا أو معصية.

٤- العمل الظاهر كفر والقصد محتمل.

وفيما يلي شرح لهذه الأحوال الأربعة:

١- إذا كان القصد كفراً والعمل الظاهر لا يدل عليه: وذلك كأعمال المنافقين؛ فظاهرها طاعات مع أنهم

في باطنهم كفار، ومن ذلك يتبين لك أن النبي ﷺ عاملهم بظاهرهم، رغم أن قصدهم الكفر، وهذا يدل على إجراء الأحكام على الظاهر، فهو أصل الحكم بين الناس؛ لذلك كانت البينة على من ادعى، واليمين على من أنكر، حتى وإن ادعى أكذب الناس، على أصدق الناس، فلا عبرة بالباطن؛ لأن الأحكام في الإسلام تنبني على ظاهرها.

٢- العمل الظاهر كفر ولا يحتمل في الباطن إلا كفرًا: وذلك كَسَبِّ الله أو رسوله أو دينه، فهذا السبّ كفر بذاته، وهو دال دلالة قطعية على مَن قصده وتلبَّس به؛ لأنه لا يصدر إلا عن بغض وكراهية، ولا تجد الإيمان في قلب رجل لا يحب الله ورسوله.

يقول شيخ الإسلام في بيان تهافت قول من يشترط الاستحلال في سبِّ الله ورسوله: إن سبَّ الله ورسوله كُفر ظاهر وباطن، سواء كان السَّاب يعتقد أن ذلك محرَّمًا أو كان مستحلاً، هذا مذهب الفقهاء وسائر أهل السنة.

٣- العمل الظاهر محتمل للكفر وعدمه: ومعنى ذلك أن يكون الظاهر غير قاطع الدلالة أنه كفر، ومن أمثلة ذلك:

أ- فعل حاطب بن أبي بلتعة، رضي الله عنه، فرغم أن ظاهر العمل يحتمل الكفر- موالاته للمشركين- إلا أن النبي ﷺ، نهى عمر بن الخطاب عن قتله؛ لأن ما فعله حاطب معصية وليس كفرًا، ومن ثم فإنَّ «شهوده لبدر كان مكفرًا لهذه السيئة». [البخاري (٦/١٤٣)].

ب- ومن أدلة لزوم التبين عن حال المعين، إذا ظهر منه ما يحتمل الشرك، وعدم الجزم بتكفيره، قصة معاذ بن جبل، رضي الله عنه عندما سجد للنبي ﷺ تعظيمًا له، وذلك لما رآه من أهل الكتاب، فنهاه النبي ﷺ عن ذلك، وأخبره أن السجود نُسِخَ لأجل التحية والتعظيم، كسجود إخوة يوسف له على سبيل التعظيم والتحية.

ولذلك لا يجب تكفير المعين لفعل محتمل، بل لابد من التبين.

وفي ذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: كيف يقال: يلزمُ السجود لشيء عبادتُه؟ وقد قال النبي ﷺ: «لو كنت آمرًا أحدًا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها؛ لعظم حقه عليها». أخرجه الترمذي، وابن حبان من حديث أبي هريرة، وابن ماجه من حديث عائشة.

ولم يقل ﷺ لو كنت آمرًا أحدًا أن يعبد، فمن السجود ما ليس عبادة، وهذا كان في شرع من قبلنا.

٤- العمل الظاهر كفر والقصد محتمل: وفي هذه الحالة لابد من قيام الحجة، ونفي الشبهة، وإزالة العوارض، ومن أدلة هذا الأصل حديث النبي ﷺ الذي قال فيه: «كان رجل يسرف على نفسه، فلما حضره الموت قال لبنيه: إذا أنا مت فاحرقوني، ثم اسحقوني، ثم ذروني في الريح، فوالله لئن قدر الله عليَّ ليعذبني عذابًا لا يعذبه أحدًا من العالمين، فلما مات فُعل به ذلك، فأمر الله الأرض فقال: اجمعي ما فيك منه، ففعلت، فإذا هو قائم، فقال: ما حملك على ما صنعت، قال: يا رب خشيتك، فغفر له». متفق عليه.

فمع أن الرجل اعتقد أن الله غير قادر على بعثه غفر الله له؛ لأن الحجة لم تقم عليه.

ولذلك نقول: إن الفعل الذي قام به كفر، ولكنه لم يكفر لقيام عارض؛ وهو عدم بلوغ الدليل إليه، وعدم قيام الحجة عليه.

يقول شيخ الإسلام: «هذا رجل ظن أن الله لا يقدر عليه إذا تفرق فظن أنه لا يعيده إذا صار كذلك، وكل واحد أنكر قدرة الله تعالى وأنكر معاد الأبدان وإن تفرقت كفر، لكنه كان مع إيمانه بالله وإيمانه بأمره، وخشيته منه، جاهلاً بذلك، ضالاً وفي هذا الظن مخطئًا، فغفر الله له».

وكذلك ما حدث مع الصحابي قدامة بن مظعون رضي الله عنه واستحلاله للخمر متأولاً، وعندما أراد عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، أن يجلده تبين له أن قدامة، رضي الله عنه، تأول قول الله تعالى: ﴿ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا ﴾ [المائدة: ٩٣]، فقال له عمر: أخطأت التأويل، وما أقام عليه الحد، رغم أنه شربها مستحلاً؛ لأنه أخطأ التأويل.

فهذه شبهة عرضت لصحابي جليل، فشرب الخمر، ورغم استحلاله لها لم يُقِم عمر رضي الله عنه الحد عليه، مع أن ذلك يعد كفرًا؛ لأن استحلاله لم يكن تكذيبًا لحكم الله.

المراجع

١- ضوابط التكفير عند أهل السنة.
٢- فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (ج٤).
٣- شرح العقيدة الطحاوية.
٤- حقيقة الإيمان: د. عمر بن عبد العزيز.

منزلة النبي صلى الله عليه وسلم عند الصوفية

الحلقة الثالثة

بقلم / شوقي عبد الصادق عبد الحميد

الحمد لله الموصوف بكل كمال، والمنزّه عن كل نقص، مستوٍ على عرشه، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله عَبَدَهُ حق العبادة، وخافه حق الخوف، ورجاه حق الرجاء، وبعد:

فقد تكلمنا عن مكانة النبي ﷺ عند ربه، كبشر اصطفاه ربه وأكرمه بالوحي والرسالة، وكان فضل الله عليه عظيمًا، وعند المؤمنين؛ اتبعوه وبلّغوا عنه وأحسنوا صحبته وعظموه دون أن يعبدوه، ثم تعرضنا لتفريط المنافقين، وإخوانهم الكافرين في حقه بعدما بان لهم أنه الحق من ربهم، حيث همّوا بقتله وسمّه والانتقاص من دعوته وأتباعه، وها نحن نعرض إفراط المتصوفين في حقه، وإنزاله في غير ما أنزله ربه، متشبهين في ذلك بالنصارى، وقد نهى النبي ﷺ عن ذلك بقوله: «لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم، إنما أنا عبد الله، فقولوا: عبد الله ورسوله».

فنجد طائفة من الصوفية تعتقد أن الرسول ﷺ هو قبة الكون، وأنه المستوي على العرش، وأن السماوات والأرض والعرش والكرسي وكل الكائنات خلقت من نوره، وأنه أول موجود، وهذه عقيدة ابن عربي- الذي يعتقد عقيدة وحدة الوجود وأنه ليس في الكون شيء إلا الله- ومن جاء بعده، فيقول القاشاني شارح «فصوص الحكم» لابن عربي: «إن محمدًا أول التعينات التي تعينت به الذات الأحدية قبل كل تعين فظهر به ما لا نهاية من التعينات، فهو واحد فرد في الوجود لا نظير له، وليس فوقه إلا الذات الأحدية المطلقة المنزهة عن كل تعين وصفة واسم ورسم وحد ونعت فله الفردية المطلقة، ومن هذا يعلم أن الاسم الأعظم لا يكون إلا له دون غيره من الأنبياء..». [شرح الفصوص للقاشاني (ص٢٦٦)]. إلى آخر ما قال.

ويقول ابن عربي أيضًا في الفتوحات المكية (٢/٩٧): «الحقيقة المحمدية أو الروح المحمدي هو المظهر الكامل للذات الإلهية والأسماء والصفات».

ويقول أيضًا: «الحقيقة المحمدية أو الإنسان الكامل، فالإنسان على صورة الحق من التنزيه والتقديس عن الشوب في حقيقته، فهو المألوه المطلق، والحق سبحانه هو الإله المطلق، وأعني بهذا كله الإنسان الكامل». [الفتوحات (٢/٦٠٣)].

ويقول الجيلي في كتابه «الكهف والرقيم» وسبقه في ذلك الحلاج يقول- مستدلاً بحديث موضوع ومكذوب لا أصل له، ولا يصح عقلاً ولا نقلاً- ونص كلامه: «وكل ما في القرآن فهو في الفاتحة، وكل ما في الفاتحة فهو في بسم الله الرحمن الرحيم، وكل ما في بسم الله الرحمن

الرحيم فهو في الباء، وكل ما في الباء فهو في النقطة التي تحت الباء». وفي كتاب آخر له سماه «حقيقة الحقائق» يقول عن حقيقة النقطة: «ولقد درجت في بعض معارج الغيب فأشهَدني الحق تعالى صورة النقطة في عالم القدس عنه، فإذا هي على صورة الحقيقة المحمدية».

فانظر أيها القارئ الموحِّد كيف بُنيت مثلُ هذه العقيدة على الباطل من الأحاديث؛ لأنه من المعلوم أن القرآن لما كتب في عهد الرسول وأصحابه لم يكن مُنقطًا ولا مشكلا ولا محزبًا ولا مجزءًا، وأن واضع النقط على الحروف العربية هو أبو الأسود الدؤلي في نهاية القرن الأول الهجري، وكيف غاب ذلك عن الرسول وفحول الصحابة كابن عباس ترجمان القرآن، فإذا بان لك أيها الموحد بطلان الحديث، فما بُني على باطل فهو باطل.

ويقول الجيلي أيضًا في كتابه «الإنسان الكامل» (٢/٣٨): «اعلم أن الله تعالى لما خلق النفس المحمدية من ذاته- وذات الحق جامعة للضدين- خلق الملائكة العالين من حيث صفات الجمال والنور والهدى من نفس محمد ﷺ، وخلق إبليس وأعوانه من حيث صفات الجلال والظلمة والضلال من نفس محمد ﷺ».

ويقول فيه أيضًا (٢/٢٦): «ولما خلق الله تعالى العالم من نور محمد ﷺ كان المحل المخلوق منه إسرافيل قلب محمد ﷺ كما سيجيء بيان خلق جميع الملائكة وغيرهم كل من محل منه».

فانظر هداك الله لا يجد الجيلي أي غضاضة في أن يثبت أن إبليس خلق أيضًا من محمد ﷺ، وهناك ما يسمى بالطريقة المحمدية، ولها كتاب أوراد يسمى «نفحات في الصلاة على الرسول الأعظم»، وفي وردها يقول شيخ الطريقة: «اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد الذي خلقت نوره من نور ذاتك بلا واسطة، وخلقت من نوره جميع مكوناتك فكل به قائم، الذي فتقت به رتق الوجود، وأحييت به الكائنات، وعين عنايتك الأزلية الأبدية ومبدأ الأشياء ظاهرًا وباطنًا، ونهايتها سرًا وعلانية الذي لاح جماله في القدم وأشرق نوره في الوجود بلا عدم، نور الله الذي لا يطفا». [انظر عقائد الصوفية للشيخ المراكبي (ص٩٩)].

وبهذه العقيدة يضرب الصوفية بنصوص القرآن والسنة عرض الحائط ولا يقيمون وزنًا لما صح وتواتر عن رسول الله ﷺ، فالله تعالى يقول: ﴿مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلاَ خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾ [الكهف: ٥١].

وروى البخاري وغيره عن عمران بن حصين قال: قال رسول الله ﷺ: «كان الله ولم يكن شيء غيره، وكان عرشه على الماء». وفي رواية أخرى: «كان الله ولم يكن قبله شيء، وكان عرشه على الماء، وكتب في الذكر كل شيء، وخلق السماوات والأرض».

فالعرش والماء خلقا قبل السماوات والأرض.

وعند مسلم عن عمرو بن العاص قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، قال: وكان عرشه على الماء». فترتيب الخلق هو خلق الماء والعرش ثم القلم، ثم اللوح، وكل هؤلاء خلقن قبل السماوات والأرض بخمسين ألف سنة. وإذا كانت نظرية قِدَم نور النبي ﷺ تفترض خلق كل شيء من نور محمد ﷺ الذي هو من نور الله فحديث أبي هريرة يقول: قلت: يا رسول الله، إني إذا رأيتك طابت نفسي وقرّت عيني، فأنبئي عن كل شيء، فقال: «كل شيء خلق من ماء». ولو كان كلام الصوفية صحيحًا لقال الرسول ﷺ: كل شيء خُلق من نوري. [انظر عقائد الصوفية للمراكبي].

وهذا صريح القرآن: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ

كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلاَ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٠]. وقال ﷺ عن نفسه: «أنا دعوة إبراهيم، وبشر بي عيسى، ورأت أمي حين حملت بي أنه خرج منها نور أضاء له قصور بصرى من أرض الشام». فقد دعا الخليل بقوله: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الحَكِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٩]، وبشر عيسى ببعثه فقال: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ...﴾ [الصف: ٦]، فكيف يكون خلق الأنبياء من نوره وهو دعوة إبراهيم المستجابة!!

ويقول الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق: «المعتدلون منهم يعتقدون أن الرسول ﷺ يعلم الغيب كله ولا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماوات. ففي كتاب «دلائل الخيرات» (ص٤٩) وهو مصحف الصوفية: «محمد بحر أنوارك، ومعدن أسرارك، ولسان حجتك، وعروس مملكتك، وإمام حضرتك».

وفيه أيضًا (ص١٤٧) وصف للرسول ﷺ بأنه «شجرة الأصل النورانية، ولمعة القبضة الرحمانية، صاحب القبضة الأصلية، ومعدن الأسرار الربانية، وخزائن العلوم الاصطفائية».

وإليك تصريحًا آخر للبوصيري يقول فيه:

وإن من جودك الدنيا وضرتها
ومن علومك علم اللوح والقلم

ويقول أيضًا:

وكل آي أتى الرسلُ الكرامُ بها
فإنما اتصلت من نوره بهم

فالبيت الأول يجعل الدنيا والآخرة منة ونفحة، ومن نفحات الرسول ﷺ، وأن ما سطر وكتب في اللوح المحفوظ هو بعض من علم الرسول وليس كل علمه، والبيت الثاني يجعل الصوفية علم الرسل الكرام كلهم مأخوذًا من ذات الرسول النورانية قبل أن توجد ذاته الترابية- كما تزعم الصوفية- يعارضون بهذا المعتقد صريح القرآن وصحيح السنة، ففي القرآن: ﴿قُلْ لاَ يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلاَّ اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [النمل: ٦٥]، وقوله: ﴿مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلأِ الأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ [ص: ٦٩]، وقوله: ﴿قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلاَ أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾ [يونس: ١٦]، وقوله: ﴿قُلْ لاَ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلاَ ضَرًّا إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٨]، فالقرآن يقول إن الرسول ﷺ لا يدري شيئًا عن القرآن قبل الوحي، والبوصيري يقول إنه يعلم أكثر مما في اللوح المحفوظ، فأي القولين نصدّق؟! وبأي القولين نؤمن؟!

وإذا كان الرسول يعلم الغيب كله- كزعم الصوفية- ويعلم ما في اللوح، فلماذا لم ينطق ببراءة عائشة رضي الله عنها إلا بعد نزول الوحي الذي مكث شهرًا؟ ولماذا لم يعرف الحكم في أسرى بدر إلا بعد نزول القرآن؟ ولماذا لم يقبل توبة الثلاثة الذين خُلِّفوا إلا بعد نزول القرآن والذي مكث خمسين يومًا؟

وهذا أيها القارئ إفراط في منزلة الرسول ﷺ؛ بناه الصوفية على أن حياة الرسول ﷺ في قبره كحياته في الدنيا، وليست حياة برزخية لها أحكامها، وعلمها عند الله تعالى، فها هو ابن عربي القطب الأكبر في هذا الضلال يقول في مطلع كتابه «فصوص الحكم» [ص٤٧]: «أما بعد، فإني رأيت رسول الله ﷺ في مبشرة أريتها في العشر الآخر من المحرم سنة سبع وعشرين وستمائة بمحروسة دمشق، وبيده ﷺ كتاب، فقال لي: هذا كتاب فصوص الحكم خذه واخرج به إلى الناس ينتفعون به». فقلت: السمع والطاعة لله ولرسوله وأولي الأمر منا كما أمرنا.

والكتاب مكتظٌّ بالضلالات، ونقدم لك أيها الأخ الموحد تقرير ابن عربي عن النار بأنها دار السعادة والهناء، فيقول:

وإن دخلوا دار الشقاء فإنهم
على لذة فيها نعيم مباين
نعيم جنات الخلد فالأمر واحد
وبينهما عند التجلي تباين
يسمى عذابًا من عذوبة طعمه
وذاك له كالقشر والقشر صاين

[انظر الفصوص: ص٩٩].

فانظر حفظك الله بالتوحيد- يُسوّي ابن عربي بين نعيم الجنة فيجعله كعذاب النار؛ لأن الأمر واحد في زعمه، وأن العذاب من العذوبة، والنار قشرة تخفي وراءها النعيم المقيم لأهل النار، فهل مثل هذا يعطيه الرسول له ويترك للأمة القرآن والسنة بما فيها من وصف للنار وأهلها؟

ويقول الشعراني عن محمد معصوم أحد أئمة الطريقة النقشبندية أنه يقول عن نفسه: غلب عليَّ وقت الوداع والسفر من المدينة المنورة الحزنُ والبكاءُ، فرأيت سيد المرسلين، قد خرج من حجرته المطهرة وخلع عليَّ خلعة فاخرة وتاجًا مثل تاج الملوك مكلّلا بأحسن الجواهر وظهر لي أن هذه خلعه خاصة من خلع ذاته.

فانظر أيها الموحد إلى هذا الغلو الفاضح، فدعوى أن النبي ﷺ يُرى يقظة ليست صحيحة لعدم قيام الدليل عليها، بل الدليل على غير ذلك، يقول تعالى: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴾ [الزمر: ٣]، ويقول أيضًا: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ (١٥) ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ١٥، ١٦]، فدل ذلك على أنه ليس هناك خروج من القبور قبلَ يوم القيامة: ﴿ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [المطففين: ٦]، ويكون الرسول ﷺ أولنا وأول الناس؛ لما رواه مسلم في صحيحه في كتاب الفضائل «باب قول النبي ﷺ: «أنا سيد ولد آدم» عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وأول من ينشق عنه القبر، وأنا أول شافع وأول مُشفع».

وإليك أخي الموحد طائفة من الأحاديث الموضوعة والباطلة حول هذا الغلو والإفراط في الرسول ﷺ، منها:

«لولاك ما خلقت الأفلاك».

«أنا من الله، والمؤمنون مني، والخير في وفي أمتي إلى يوم القيامة».

«أنا خاتم النبيين، لا نبي بعدي إلا أن يشاء الله».

«كنت أول النبيين في الخلق وآخرهم في البعث».

حديث «إحياء أبويه عليه السلام وإيمانهما به».

«أنا مدينة العلم وعلي بابها».

«إن الورد خلق من عرق النبي ﷺ أو عرق البُراق».

«سمعت الله من فوق العرش يقول للشيء كن فلا تبلغ الكافُ النون إلا يكون الذي يكون».

«لما أسري بي إلى السماء سقط من عرقي فنبت منه الورد».

«لما عُرج بي رأيت مكتوبًا على ساق العرش: لا إله إلا الله محمد رسول الله، أيدته بعلي، نصرته بعلي».

«أنا عرب بلا عين- أي ربّ- أنا أحمد بلا ميم أي أحد». لا أساس له من الصحة. [انظر فتاوى اللجنة الدائمة (٣١١/١)].

فظهر لك أيها القارئ الموحد أن أعدل المناهج هو منهج سلفنا الصالح المحبين للرسول غير مُفَرِّطين ولا مُفْرِطين، أحبوه من غير أن يعبدوه، ونصروه دون أن يخذلوه، ورووا عنه دون أن يَكْذِبوه، فرضي الله عنهم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

واحة التوحيد..

من نور كتاب الله

﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة: ٢٧٤].

من هدي رسول الله ﷺ

عن أم المؤمنين أم حبيبة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من عبد مسلم يصلي لله تعالى في كل يوم ثنتي عشرة ركعة تطوعًا غير الفريضة إلا بنى الله له بيتًا في الجنة» [مسلم ٧٢٨].

من أقوال السلف

قال عمر بن عبد العزيز رحمه الله: «خذوا من الرأي ما يصدق من كان قبلكم، ولا تاخذوا ما هو خلاف لهم، فإنهم خير منكم وأعلم»

[الحلية (٥/٢٧٠)]

قال عبد الرحمن بن مهدي: أهل العلم يكتبون مالهم وما عليهم، وأهل الأهواء لا يكتبون إلا مالهم»

[اقتضاء الصراط المستقيم (١/٧٢)]

عن عون قال: «من مات على الإسلام والسنة فله بشير بكل خير»

[أصول الاعتقاد ٢/٦٧]

حكم ومواعظ

عن محمد بن الحنفيه قال: «ليس بحكيم من لا يعاشر بالمعروف من لا يجد من معاشرته بدًا، حتى يجعل الله له فرجًا ومخرجًا»

[صحيح الأدب المفرد ص ٢٣٩]

عن ابن معاوية قال: «ما لقيني مالك ابن مغول إلا قال لي: لا تغرنك الحياة واحذر القبر إن للقبر شأنًا»

[أهوال القبور ص١٥٦]

من سير السلف

قال إبراهيم بن إسماعيل: «كنا نستعين على حفظ الحديث بالعمل به»

[اقتضاء العلم للخطيب ص١٠٧]

من أخلاق الصحابة

عن أنس رضي الله عنه قال: «كان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم إذا تلاقوا تصافحوا وإذا قدموا من سفر تعانقوا»

[الطبراني في الأوسط (٨/٣٦)]

الكرم خلق جميل

قال أبو الأسود: دخل على الحسن بن علي رضي الله عنهما نفر من أهل الكوفة وهو يأكل طعامًا فسلموا عليه وقعدوا، فقال لهم الحسن: «الطعام أيسر من أن يقسم عليه، فإذا دخلتم على رجل منزله فقرب طعامه فكلوا من طعامه ولا تنتظروا، فتقدم القوم فأكلوا ثم سألوه حاجتهم فقضاها لهم».

[مكارم الأخلاق ابن أبي الدنيا ص١١٠]

من درر العلماء في آيات الصفات

قال العلامة الآجري: اعلموا وفقنا الله وإياكم للرشاد من القول والعمل أن أهل الحق يصفون الله عز وجل بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله ﷺ، وبما وصفه به الصحابة رضي الله عنهم، وهذا مذهب العلماء فمن اتبع لم يبتدع، ولا يقال فيه كيف؟ بل التسليم له والإيمان به: أن الله عز وجل يضحك، كذا روي عن النبي ﷺ وعن صحابته.

قال ﷺ في حديث من البخاري: «يضحك الله عز وجل إلى رجلين...»

[الشريعة: ٢/٥٢]

حقيقة لا إله إلا الله

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: فإن الإله هو الذي تألهه القلوب عبادة واستقامة ومحبة وتعظيمًا وخوفًا ورجاءً وإجلالا وإكرامًا، وهو سبحانه له حق لا يشركه فيه غيره، فلا يعبد إلا الله ولا يدعى إلا الله، ولا يخاف إلا الله، ولا يطاع إلا الله، والرسول هو المبلغ عن الله طاعته، وأمره ونهيه، وتحليله وتحريمه، فهو واسطة بين الله وبين خلقه في تبليغ أمره ونهيه ووعده ووعيده.

وأما إجابة الدعاء ، وكشف البلاء، والهداية والإغناء ونحو ذلك فالله تعالى هو المتفرد بذلك. [الاستغاثة ١٤١/١]

من أخطاء المصلين

اعتقاد بعض المصلين أن صلاة فجر الجمعة لا تصح إلا بقراءة الم تنزيل «السجدة» وسورة «الإنسان».

وفي المقابل يعتقد البعض أن المقصود بالقراءة في فجر الجمعة هو الآيات التي بها السجدة، ولذلك يجتزئون بقراءة بعض الآيات التي وردت بها السجدة ويتركون بقية السورة قبل آية السجدة وبعدها، ولو كان الأمر كذلك لأجزأت أي آية بها سجدة من سورة أخرى، لكن الصواب أن السورة كلها مقصودة في القراءة بها فمن قرأ بها فقد أصاب السنة وهو مأجور ومن لم يرد أن يقرأ بها فليس ذلك فرضًا ولا حرج عليه، وأما من قرأ ببعضها كما أشرنا فلا هو أصاب السنة ولا سلم من البدعة.

مخالفات تقع فيها النساء

النياحة وضرب الوجوه وشق الجيوب على الأموات، قال ﷺ: «ليس منا من لطم الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية». [متفق عليه]

وقال ﷺ : «النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب» [مسلم].

تناقضات في حياتنا

رجل يمشي إلى جوار زوجته

الزوج ثوبه يغطي كعبيه، والزوجة تشمر عن ثوبها حتى تبدو أطراف السيقان.

الرجل يلبس الفضفاض الواسع من اللباس، والمرأة تلبس الضيق من اللباس.

نوادر وطرائف

طبخ بعض البخلاء قِدْرًا من الطعام، وجلس يأكل مع زوجته فقال: ما أطيب هذا الطعام لولا كثرة الزحام؛ فقالت امرأته: وأي زحام وما ثم إلا أنا وأنت؟!! فقال: كنت أحب أن أكون أنا والقدر.

صحح لغتك

عدم تفريقهم بين الخُطْبَةِ (بضم الخاء) والخِطْبَةِ (بخفضها)، فالأولى من قولك: خَطَبَ الرجل على المنبر يَخْطُبُ خُطْبَةً، والجمع خُطَبٌ، وهو اسم كلام الخُطَباءِ. والثانية من قولك: خَطَبَ الرجل المرأة إلى ذويها، يخطُبُها خِطْبَةً ويسمى خاطبًا، أي رَغِبَ في الاقْتِرانِ بها، والجمعُ خُطَّابٌ، وجمع الخِطبة خِطبات.

وصايا لطلاب العلم
تعلم الآداب قبل العلم

عن موسى بن نصير قال: سمعت عيسى بن حماد يقول لأصحاب الحديث: تعلموا الحلم قبل العلم، وقال ابن وهب: ما تعلمت من أدب مالك أفضل من علمه، ولقد أحسن عبد الله بن المبارك حيث يقول:

أيها الطالبُ علمًا ائْتِ حمَّادَ بْنَ زيدٍ
فاقتبسْ علمًا وحلمًا ثم قَيِّدْهُ بقيدٍ

وقال أبو حنيفة: الحكايات عن العلماء ومجالستهم أحب إليَّ من كثير من الفقه لأنها آداب القوم وأخلاقهم.

[جامع بيان العلم ١٢٧/١]

نظرات على فهم النص

بقلم: متولي البراجيلي

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، أما بعد:

في الحلقة السابقة ذكرنا السبب الخامس من أسباب التعدد في فهم النص، وهو: الاعتماد على الفهم الخاص للنصوص، وقلنا تحته: لقد ابتدع أقوام وضل آخرون بسبب فهمهم الخاص للنصوص، بالذوق أو العقل أو اللغة أو معطيات العصر المتغيرة، ولم يقيدوا أنفسهم بفهم السلف الصالح ولا قواعدهم وضوابطهم في التعامل مع النص.

فبرز لنا طوائف من الشيعة، ومن غلاة الصوفية أعملوا أذواقهم وهواهم في تفسير آيات القرآن، وأطلقوا على ذلك التفسير: التفسير الباطني.

من ذلك ما يرويه الكليني- أحد أعلام الشيعة ومصادرهم- بسنده عن جعفر الصادق في تأويل قوله تعالى: ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ [النور: ٣٥]، حيث يروى أنه قال: مثل نوره كمشكاة: يعني فاطمة عليها السلام. فيها مصباح: يعني الحسن، المصباح في زجاجة: يعني الحسين، الزجاجة كأنها كوكب دري: فاطمة كوكب دري بين نساء أهل الدنيا. توقد من شجرةمباركة: إبراهيم عليه السلام... إلخ.

كما يقول في تأويل قوله تعالى: ﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لجِّيٍّ﴾: يعني معاوية وبني أمية. [مدخل إلى علم التفسير: د. محمد بلتاجي].

وبعضهم لجأ إلى الاكتشافات العلمية الحديثة، وربط بينها وبين تفسير القرآن، قبل أن تستقر هذه الاكتشافات مما أدى إلى التعسف في تأويل آيات القرآن لمحاولة الربط بينها وبين هذه الاكتشافات العلمية.

فعلى سبيل المثال في كتاب: «القرآن والعلم»- لمؤلفه أحمد محمود سليمان تكلم فيه عن قوله تعالى: ﴿ يَا مَعْشَرَ الجَنِّ وَالإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ فَانْفُذُوا لاَ تَنْفُذُونَ إِلاَّ بِسُلْطَانٍ (٣٣) فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٣٤) يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٌ فَلاَ تَنْتَصِرَانِ﴾ [الرحمن: ٣٣- ٣٥].

فقال: (وكان ذلك قبل أن يصل الإنسان إلى القمر): إن الإنسان يحاول السفر إلى القمر، لكن هل يدري الصعوبات التي تنتظره؟ ثم يذكر بعض هذه الصعوبات، ويقول: وإذا فرض وأمكنه التفادي من هذا فهل يتجاسر ويخرج من صاروخه إلى أرض القمر؟ تعال معي نرى ما هناك وما سيحدث... ثم يتكلم عن درجات الحرارة والبرودة والجاذبية وانعدام الضغط وغيرها من المشكلات التي تعترض طريق نزول الإنسان إلى القمر، ثم يقول ما نصه: ولكن بقيت المشكلة الكبرى: مشكلة الخروج من هذه المركبات المملوءة بالعديد من الأجهزة التي أعدها العلم للتغلب على عقبات طريق الفضاء، كيف الخروج؟ أيخرج ليكون مصيره الهلاك المحتوم؟ هذا ما ستجيب عنه الأيام، ولن يكون لها من جواب من غير ما نبأنا به القرآن.

هذا ما قاله ونسبه إلى القرآن حوالي سنة

١٩٦٥، ثم صعد الإنسان إلى القمر وعاد منه بعد ذلك بسنوات قليلة جدًا.

فكان هذا القول من المؤلف تحميلاً لآيات سورة الرحمن ما لا يمكن أن تتحمله.

لذا فإن بعض الصحفيين الأجانب، بعد صعود الإنسان ونزوله من القمر، تقدم بسؤال لبعض العلماء المسلمين عن الآيات التي فيها القطع بعدم وصول الإنسان إلى القمر والعودة منه. [المرجع السابق].

ولعل من أبرز الأمثلة تحت هذا السبب- «الاعتماد على الفهم الخاص للنصوص»- هو عرض النص على العقل، خاصة حديث النبي ﷺ، دون الالتفات إلى درجة الحديث من الصحة والضعف، متجاهلين ومتغافلين عن الجهد الرائع الذي وضعه علماء الحديث على مدى قرون طويلة، سجلوا فيها مفخرة في علوم الحديث- وخاصة علم الرجال- لا توجد في أمة من الأمم قاطبة.

ولا يظن ظانٌ أن الإسلام يبطل العقل ويحاربه، بل الإسلام يدعو إلى التفكر والتأمل وإعمال العقل، وإلى السير في الآفاق للنظر في خلق الله وآياته، ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُولِي الأَلْبَابِ (١٩٠) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ [آل عمران: ١٩٠، ١٩١].

لكن أن نعرض النصوص على العقول فما وافق عقولنا قبلناه، وما لم يوافقها رفضناه، فذلك هو الفساد المبين، فيا ليت شعري بأي عقل يوزن الكتاب والسنة؟ فرحم الله الإمام مالك بن أنس حيث قال: أو كلما جاءنا رجل أجدل من رجل تركنا ما جاء به جبريل إلى محمد ﷺ لجدل هؤلاء. [فتاوى ابن تيمية- ج٦].

فهؤلاء تجدهم في العقل على طريق كثير من المتكلمة، يجعلون العقل وحده أصل علمهم، ويفردونه، ويجعلون الإيمان والقرآن تابعَيْن له.

وعلى النقيض من هؤلاء الذين قالوا في استخدام عقولهم نجد الذين جفوا في استخدام العقل.

يقول ابن تيمية: «وكثير من المتصوفة يذمون العقل ويعيبونه، ويريدون أن الأحوال العالية، والمقامات الرفيعة، لا تحصل إلا مع عدمه، ويقرون من الأمور بما يكذب به صريح العقل». [الفتاوى ج٣].

مثال: رفض هؤلاء أحاديث- وهي في الصحيح- لأنها لا توافق عقولهم، مثل حديث إرسال ملك الموت إلى موسى عليه السلام، وهو في الصحيحين ومسند أحمد وصحيح ابن حبان وغيرها.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أرسل ملك الموت إلى موسى عليهما السلام، فلما جاءه صكَّه، فرجع إلى ربه فقال: أرسلتني إلى عبد لا يريد الموت، قال: ارجع فقل له يضع يده على متن ثور فله بما غطَّت يده بكل شعرة سنة، قال: أي رب، ثم ماذا؟ قال: ثم الموت. قال: فالآن، قال: فسأل الله أن يدنيه من الأرض المقدسة رمية بحجر». [البخاري].

فعرض هؤلاء العقلانيون الحديث على عقولهم، ورفضوا وشككوا فيه، بدعوى أنه كيف لموسى أن يكره الموت ويصل به الحد إلى أن يفقأ عين ملك الموت عليه السلام!

وقد روى ابن حبان الحديث في صحيحه تحت عنوان: ذكر خبر شنَّع به على منتحلي سنن المصطفى ﷺ، من حرم التوفيق لإدراك معناه.

ثم قال ابن حبان

عقب روايته للحديث كلامًا طويلاً خلاصته: أن الأمر من الله إلى موسى عليه السلام كان أمر ابتلاء واختبار لا أمر إمضاء، كأمر إبراهيم عليه السلام بذبح ابنه، وأن ملك الموت جاء إلى موسى عليه السلام على غير الصورة التي كان يعرفه بها فأنكره، وأنه لما وجده في بيته من غير إذن لطمه ففقأ عينه، وهذا موجود في شريعتنا أن من فقأ عين الداخل إلى داره بغير إذنه فلا جناح على فاعله، وأن الشرائع قد تتفق في بعض المسائل.

وبالتالي فَفَقْءُ موسى عليه السلام لعيْن ملك الموت لا جناح عليه فيه؛ لأنه دخل داره بغير إذنه ولم يكن يعرفه.

والأمر الثاني لموسى عليه السلام كان أمر إمضاء- لما جاءه ملك الموت في المرة الثانية- وقد عرف ملك الموت فخير موسى فاختار موسى عليه السلام الموت طيبة نفسه به ولم يستمهل.

فلو عرف موسى في المرة الأولى أنه ملك الموت لما فعل ذلك معه.

ثم أشار إلى أن الذين يردون هذا الحديث ويتهمون أصحابه بأنهم حمالة الحطب، أن هذا جهل منهم بمعاني الأخبار، وترك التفقه في الآثار، معتمدين في ذلك على رأيهم المنكوس وقياسهم المعكوس.

ووجه آخر أن موسى عليه السلام لم يعرفه وظنه يريد أن يعتدي عليه، فدافع موسى عن نفسه فأدت المواقعة إلى فقء عينه، والدفاع عن النفس مشروع في جميع الشرائع السماوية، وليس في الرواية ما يدل على أنه كان يعرف ملك الموت، وأنه دافعه رغبة عن الموت، فمقام الأنبياء يتنزه عن ذلك.

وقال ابن خزيمة: أنكر بعض المبتدعة هذا الحديث وقالوا: إن كان موسى عليه السلام عرفه فقد استخف به، وإن كان لم يعرفه فكيف لم يقتص له فقء عينه.

وإنما بعثه إليه اختبارًا، وإنما لطم موسى ملك الموت عليهما السلام لأنه رأى آدميًا دخل داره بغير إذنه، ولم يعلم أنه ملك الموت.

وقد أباح الشارع فقء عين الناظر في دار المسلم بغير إذن.

وعلى تقدير أن يكون عرفه فمن أين لهذا المبتدع مشروعية القصاص بين الملائكة والبشر؟ ثم من أين له أن ملك الموت طلب القصاص من موسى عليه السلام فلم يقتص له؟

وقال الخطابي: إن موسى عليه السلام دفعه عن نفسه لما ركب فيه من الشدة.

وقال النووي: لا يمتنع أن يأذن الله لموسى في هذه اللطمة امتحانًا للملطوم.

وقال غيره: إنما لطمه لأنه جاء لقبض روحه من قبل أن يخيره، لما ثبت أنه لم يقبض نبي حتى يخير، فلهذا لما خيره في المرة الثانية أذعن.

وجوَّز ابن عقيل أن يكون موسى أُذن له أن يفعل ذلك بملك الموت، وأمر ملك الموت بالصبر على ذلك كما أمر موسى بالصبر على ما يصنع الخضر. [فتح الباري (ح٣٤٠٧)].

ولقد كانت في موسى قوة وحدَّة عندما يشتد غضبه، ألم يطلب من ربه تعالى أن يرسل معه أخاه هارون قائلاً لربه إنه عندما يضيق صدره لا ينطلق لسانه، ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ (١٢) وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ﴾ [الشعراء: ١٢، ١٣].

وعندما غضب على المصري فوكزه وكزة قضت عليه.

وفي صحيح مسلم في حديث اغتساله، وفرار الحجر بثوبه، وعدوه خلفه حتى أمسك به فطفق يضربه، حتى جعل بالحجر ندبًا ستة أو سبعة من جراء ضربه.

وللحديث بقية إن شاء الله تعالى.

وقفات مع القصة في كتاب الله

قصة موسى عليه السلام

القسم الثاني (٩)

إعداد/ عبد الرازق السيد عيد

الحمد لله الذي خلق فسوّى، وقدَّر فهدى، والذي أخرج المرعى، فجعله غثاءً أحوى، والصلاة والسلام على نبي الهدى، ورسول الرحمة محمد ﷺ.

وبعد أخي الكريم، وقفنا في اللقاءين السابقين عند عرض موجز لقصة الخضر مع موسى ﷺ، ثم عرض لمجمل الفوائد المستخلصة والقواعد المستنبطة، واتضح بما سبق المحتوى الإيماني والمغزى التربوي للقصة.

وكذلك اتضحت لنا الصورة الحقيقية والاعتقاد الواجب في الخضر عليه السلام، نعم الاعتقاد والتصور النابع من الكتاب والسنة، وأن الخضر إنما فعل ما فعل بوحي من الله جليٍّ، وليس بإلهام خفيٍّ: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾ [الكهف: ٨٢].

أقول ذلك لأنَّه قد ضَلّ في قصة الخضر أقوامٌ كُثُر من أهل التصوف ومن غيرهم، وقد شطحوا في فهم القصة شطحات، وأوحت إليهم أوهامهم فيها خيالات لا أصل لها، وضلَّ القوم في الأمر ضلالاً بعيدًا أدَّى ببعضهم للتطاول على مقام النبوة والأنبياء- لا فرق في ذلك عندهم بين نبي أو رسول من أولي العزم- حتى قال قائلهم: «خضنا بحرًا وقف بساحله الأنبياء». يقصد هذا القائل أن الأولياء في زعمه خاضوا بحر الحقيقة، بينما وقف الأنبياءُ بساحل الشريعة وحدودها، ويعتقدون - استنادًا إلى استنباطهم السقيم من قصة الخضر - أن الخضر- وهو عندهم وليٌّ- عرف ما لم يعرفه النبيُّ. وعلى هذا فإنَّ الولي عندهم يتلقى من الله سبحانه مباشرة دون واسطة، بينما يتلقى النبي بواسطة، وأيضًا قالوا إن الأولياء يتلقون مباشرة من الله الحي الذي لا يموت، وسائر علماء الشريعة يتلقون علمهم عن الأموات، وغير ذلك من الشطحات التي لا تؤدي في النهاية إلا إلى هدم الدين من أساسه وتقويض بنيانه - نسأل الله العصمة - ومما يؤسف له أن هذه الأفكار الدخيلة على الدين قد شاعت وانتشرت بين قطاعات عريضة من الناس، ومن هنا وجب التنبيه عليها والتحذير منها وكشف شبهاتها، وسأنقل لك أخي القارئ فيما يلي من أقوال أهل العلم ما يوضِّح الحقيقة ويزيل الشبهة بإذن الله.

ويمكننا ترتيب الشبهات الواردة وردّ العلماء عليها في الخطوات الآتية:

أولاً: مجمل الشبهات:

يقول صاحب الفضيلة الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق: «قصة الخضر عليه السلام التي وردت في القرآن الكريم في سورة الكهف، ووردت في السنة في صحيح البخاري وغيره،

حرَّفَ الصوفيةُ معانيها وأهدافها ومراميها، وجعلوها عمودًا من أعمدة العقيدة الصوفية- المخالفة للكتاب والسنة- فقد جعلوا هذه القصة دليلاً على أن هناك ظاهرًا شرعيًا، وحقيقة صوفية تخالف الظاهر، وجعلوا إنكار علماء الشريعة على من يسمونهم بعلماء الحقيقة أمرًا مستغربًا، وجعلوا الخضر مصدرًا للوحي والإلهام والعقائد والتشريع، ونَسَبَ الصوفية طائفةً كبيرةً من علومهم التي ابتدعوها إلى الخضر، وليس منهم صغيرٌ أو كبير ممن دخل في طريقهم إلا وادّعى لُقيا الخضر والأخذ عنه- إلا ما شاء الله- وزعم المتصوفة أو أغلبهم أن الخضر حي أبد الدَّهر، وأنه صاحب شريعة وعلم باطن يختلف عن الشريعة الظاهرة، وأنه وليَ وليس بنبيَ، وأن علمه علمٌ لدنَي موهوب من الله بغير وحي الأنبياء، وأن هذه العلوم اللدنيَة تنزل على جميع أولياء الصوفية في كل وقت، قبل بعثة الرسول ﷺ وبعد بعثته، وأن هذه العلوم أكبر وأعظم من العلوم التي مع الأنبياء، بل وعلوم الأنبياء لا تدانيها ولا تضاهيها، فكما أن الخضر وهو وليٌّ فقط (في زعمهم) كان أعلم من موسى فكذلك أولياء الصوفية من أمة محمد هم أعلم من محمد ﷺ؛ لأن النبي محمدًا ﷺ عالم بالشريعة الظاهرة فقط، والوليَ عندهم عالم بالحقيقة الصوفية، وأن الحقائق الصوفية تختلف عن الشريعة المحمدية، ولذلك فلكل وليٍّ شريعته المستقلة، فما يكون معصية في الشريعة كشرْب الخمر والزنى واللواط، قد يكون حقيقة صوفية وقُربة إلى الله حسب العلم الباطني، وكذلك في أمر العقائد ومسائل الإيمان فلكل وليٍّ كشْفُه الخاص، وعلمه اللدنَي الذي قد يختلف مع الوحي النبوي، وهكذا جعل غالبية المتصوفة من قصة الخضر بابًا عظيمًا لإدخال كل أنواع الخرافات والزندقة والجهل والإسفاف. اهـ مختصرًا.

وهكذا ذكر الشيخ شطحات الصوفية في قصة الخضر، والتي ترجع في مجملها إلى ثلاث مسائل:

١- مسألة العلم اللدنَي.
٢- مسألة ولاية الخضر وعدم نبوته.
٣- مسألة حياته وعدم موته.

والآن جاء أوان ردّ تلك الضلالات وبيان الحق واضحًا، كما جاء في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وأقوال أهل العلم.

وكما راعينا الاختصار في عرض تلك الشطحات سنراعي أيضًا الاختصار في الردِّ عليها ودحضها بعون الله تعالى.

أولا: مسألة العلم اللدني:

يقول صاحب «أضواء البيان»: «إن المقرّر في الأصول أن إلهام الأولياء لا يجوز الاستدلال به، بل الأدلة على عدم الاستدلال به أكثر من أن تحصى، وما يزعمه بعض المتصوفة من جواز العمل بالإلهام، وما يزعمه بعض الجبرية أيضًا من الاحتجاج بالإلهام، جاعلين الإلهام كالوحي المسموع، مستدلين بظاهر بعض النصوص وبخبر: «اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله» وكل هذا الزعم باطل لا يُعوّلُ عليه. ثم قال: وبالجملة. فلا يخفى على من له إلمام بمعرفة دين الإسلام أنه لا طريق تعرف بها أوامر الله ونواهيه، وما يتقرَّب إليه به من فعل أو ترك إلا عن طريق الوحي. فمن ادعى أنَه غني في الوصول إلى ما يرضي الله عن الرسل، وما جاءوا به ولو في مسألة واحدة فلا شك في زندقته، والآيات والأحاديث الدالة على هذا لا تحصى قال تعالى: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولا ﴾ [الإسراء: ١٥]، ولم يقل حتى نلقي في القلوب إلهامًا.

وبذلك تعلم أن ما يدعيه كثير من الجهلة المدّعين التصوف من أن لهم ولأشياخهم طريقًا باطنة توافق الحق ولو كانت مخالفة لظاهر الشرع، كمخالفة ما فعله الخضر لظاهر العلم الذي عند موسى، وهذا الادّعاء منهم زندقة أو ذريعة إلى الانحلال بالكلية من دين الإسلام.

ويستطرد الشيخ رحمه الله معلّلا وموضحًا: «وما يستدل به بعض جهلة المتصوفة على اعتبار

الإلهام مصدرًا من مصادر الدين عند أوليائهم حديث: «استفتِ قلبك وإن أفتاك الناس وأفتَوْك» لا دليل فيه البتة على اعتبار الإلهام؛ لأنه لم يقل أحد ممن يُعتد به أن المفتي الذي تتلقى الأحكام من قِبَله هو القلب. بل معنى الحديث: التحذير من الشّبه؛ لأنّ الحرام بيِّنٌ والحلال بيِّنٌ، وبينهما أمور مشتبِهة لا يعلمها كل الناس، فقد يفتيك المفتي بِحِلِّ شيء وأنت تعلم طريق حرمته استنادًا إلى الشرع؛ فإن قلب المؤمن لا يطمئن لما فيه الشُّبهة.

والحديث مثل قوله ﷺ: «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك». وقوله ﷺ: «البر حسن الخلق، والإثم ما حاك في نفسك وكرهت أن يطلع عليه الناس». رواه مسلم.

ولا شك أن المراد من مثل هذه الأحاديث: الورع وترك الشبهات، وليس الوقوع في الضلالات.

ويواصل الشيخ رحمه الله حديثه فيقول: «ومما يدل على ما ذكرنا من كلام أهل التصوف المشهود لهم بالخير والدين والصلاح- قول الشيخ أبي القاسم الجنيد بن محمد بن الجنيد رحمه الله: «مذهبنا هذا مقيّد بالكتاب والسنة». اهـ.

ونختم مسألتنا هذه اليوم بكلام نفيس للإمام القرطبي رحمه الله في تفسيره قال: «قال: شيخنا الإمام أبو العباس: ذهب قوم من زنادقة الباطنية إلى سلوك طريق لا تلزم منه هذه الأحكام الشرعية وتهدم الدين؛ فقالوا: هذه الأحكام الشرعية العامة إنما يحكم بها على الأنبياء والعامة، وأما الأولياء وأهل الخصوص فلا يحتاجون إلى تلك النصوص، بل إنما يراد منهم ما يقع في قلوبهم، ويحكم عليهم بما يغلب من خواطرهم. وقالوا: ذلك لصفاء قلوبهم من الأكدار، وخلوها عن الأغيار فتتجلى لهم العلوم الإلهية، والحقائق الربانية، فيقفون على أسرار الكائنات، ويعلمون أحكام الجزئيات، فيستغنون بها عن أحكام الشرائع الكليات؛ كما اتفق للخضر فإنه استغنى بما تجلى له من العلوم عما كان عند موسى من تلك الفهوم، وقد جاء فيما ينقلون «استفت قلبك وإن أفتاك المُفْتون». قال الشيخ أبو العباس رحمه الله: «وهذا القول زندقة وكفر، يقتل قائله ولا يستتاب؛ لأنه إنكار ما علم من الشرائع، فإن الله تعالى قد أجرى سننه، وأنفذ حكمته بأن أحكامه لا تُعلم إلا بواسطة رسله، السفراء بينه وبين خلقه، وهم المبلِّغون عنه رسالته وكلامه، المبينون شرائعه وأحكامه، اختارهم لذلك وخصهم بما هنالك، كما قال تعالى: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [الحج: ٧٥] إلى غير ذلك من الآيات. وعلى الجملة فقد حصل العلم القطعي واليقين الضروري، واجتماع السلف والخلف على أن لا طريق لمعرفة أحكام الله تعالى التي هي راجعة إلى أمره ونهيه إلا من جهة الرسل. فمن قال: إن هناك طريقًا أخرى يُعرف بها أمره ونهيه غير الرسل؛ حيث يستغنى عن الرسل- فهو كافر يقتل ولا يستتاب، ولا يحتاج معه سؤال وجواب، ثم هو قول بإثبات أنبياء بعد نبينا محمد ﷺ الذي جعله الله خاتم أنبيائه ورسله، فلا نبي بعده ولا رسول، وبيان ذلك أن من قال: يأخذ عن قلبه، وأنه يعمل بمقتضاه، ولا يحتاج مع ذلك إلى كتاب أو سنة فقد أثبت لنفسه خاصة النبوة، فإن هذا نحو ما قاله ﷺ: «إن رُوح القدس نفث في رُوعي» الحديث. انتهى من تفسير القرطبي.

وهكذا نقل الإمام القرطبي عن شيوخه تفنيد مزاعم أهل الضلال الذين يريدون هدم الدين من أساسه بما قذف الشيطان في قلوبهم من شبهات. كما نقل غير القرطبي من أهل العلم وذكرنا بعض أقوالهم وادعاءاتهم فيما يسمونه العلم اللدني، وليس لهم فيما فعله الخضر أدنى حجة، وسواء كان الخضر نبيًا أو وليًا فليس في ذلك تبرير بأي صورة من الصور لشطحات أهل الشطح.

وسنواصل إن شاء الله بيان الحق في أمر الخضر؛ حياته وموته، نبوته أو ولايته، والله المستعان، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

فضل أهل البيت وعلو مكانتهم عند أهل السنة والجماعة

إعداد الشيخ: عبد المحسن بن حمد العباد البدر
الأستاذ بالجامعة الإسلامية سابقا والمدرس بالمسجد النبوي

ثناء بعض أهل العلم على جماعة من التابعين وغيرهم من أهل البيت

محمد بن علي بن أبي طالب (المشهور بابن الحنفيَّة) رحمه الله:

قال ابن حبان في ثقات التابعين (٣٤٧/٥): «وكان من أفاضل أهل بيته».

وفي ترجمته في تهذيب الكمال للمزي: «قال أحمد بن عبد الله العجلي: تابعيٌّ ثقة، كان رجلاً صالحًا، وقال إبراهيم بن عبد الله بن الجنيد: لا نعلم أحدًا أسند عن عليٍّ، عن النبيِّ ﷺ أكثر ولا أصحَّ ممَّا أسند محمد ابن الحنفية».

وفي السير للذهبي (١١٥/٤) عن إسرائيل، عن عبد الأعلى (هو ابن عامر): «أن محمد بن علي كان يُكْنَى أبا القاسم، وكان ورعًا كثير العلم».

وقال فيه أيضًا (١١٠/٤): «السيدُ الإمامُ، أبو القاسم وأبو عبد الله».

عليُّ بنُ الحسين بن علي بن أبي طالب رحمه الله:

قال ابنُ سعد في الطبقات (٢٢٢/٥): «وكان علي بن حسين ثقة مأمونًا كثير الحديث، عاليًا رفيعًا ورعًا».

وقال ابن تيمية في منهاج السنة (٤٨/٤): «وأمَّا علي بنُ الحسين، فمن كبار التابعين وساداتهم علمًا ودينًا».

وفي ترجمته في تهذيب الكمال للمزي: «وقال سفيان بن عيينة، عن الزهري: ما رأيتُ قرشيًا أفضل مِن عليِّ بنِ الحسين».

ونقل معناه عن أبي حازم وزيد بن أسلم ومالك ويحيى بن سعيد الأنصاري رحمهم الله.

وقال العجلي: عليُّ بنُ الحسين مدنيٌّ تابعيٌّ ثقة.

وقال الزهري: كان عليُّ بنُ الحسين من أفضل أهل بيته وأحسنِهم طاعة، وأحبهم إلى مروان بن الحكم وعبد الملك بن مروان.

وقال الذهبي في السير (٣٨٦/٤): «السيدُ الإمامُ، زين العابدين، الهاشميُّ العلويُّ المدني».

وقال ابن حجر في التقريب: «ثقة ثبت عابد فقيه فاضل مشهور».

محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رحمه الله:

من إجلالِ جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنهما له ما جاء في صحيح مسلم (١٢١٨) في إسناد حديثه الطويل في صفة الحج من حديث جعفر بن محمد (وهو ابن علي بن الحسين)، عن أبيه قال: «دخلنا على جابر بن عبد الله، فسأل عن القوم حتى انتهى إليَّ، فقلتُ: أنا محمد بنُ علي بن حُسين، فأهوى بيده إلى رأسي فنزع زرِّي الأعلى، ثم نزع زرِّي الأسفل، ثمَّ وضع كفَّه بين ثدييَّ وأنا يومئذٍ غلامٌ شاب، فقال: مرحبًا بكَ يا ابنَ أخي! سَلْ عمَّا شئت... فقلتُ: أخبرني عن حَجَّة رسول الله ﷺ».

فحدَّثه بحديثه الطويل في صفة حجَّة

النبي ﷺ.

وقال ابنُ تيمية في منهاج السنة (٤/ ٥٠): «وكذلك أبو جعفر محمد بن علي مِن خيار أهل العلم والدِّين، وقيل: إنما سُمي الباقر؛ لأنه بَقَر العلم، لا لأجل بَقْر السجود جبهتَه».

وقال المزيُّ في ترجمته في تهذيب الكمال: «قال العجلي: مدنيٌّ تابعيٌّ ثقةٌ، وقال ابنُ البرقي: كان فقيهًا فاضلاً».

وقال الذهبي في السير (٤/ ٤٠١، ٤٠٢): «هو السيدُ الإمام، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن علي العلوي الفاطمي المدني، ولَدُ زين العابدين، وكان أحد من جمع بين العلم والعمل والسؤْدد والشرف والثقة والرَّزانة، وكان أهلاً للخلافة، وهو أحد الأئمة الاثنى عشر الذين تُبجلهم الشيعة الإماميةُ، وتقول بعِصمتهم وبمعرفتِهم بجميع الدين، فلا عِصمة إلا للملائكة والنبيين، وكلُّ أحدٍ يُصيب ويخطئ، ويؤخذ من قوله ويُترك سوى النبي ﷺ، فإنه معصوم مُؤيدٌ بالوحي، وشُهر أبو جعفر بالباقر؛ مِن بَقَر العلم، أي: شَقَّه، فعرَف أصله وخفيَّه، ولقد كان أبو جعفر إمامًا مجتهدًا، تاليًا لكتاب الله، كبير الشأن».

وقال أيضًا (ص٤٠٣): «وقد عدَّه النسائيُّ وغيره في فقهاء التابعين بالمدينة، واتفق الحفاظ على الاحتجاج بأبي جعفر».

جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رحمه الله:

قال الإمام ابنُ تيمية في منهاج السنة (٤/ ٥٢- ٥٣): «وجعفر الصادق رضي الله عنه من خيار أهل العلم والدين. وقال عمرو بن أبي المقدام: كنتُ إذا نظرتُ إلى جعفر بن محمد علمتُ أنه من سُلالة النبيين».

ووصفه في رسالته في فضل أهل البيت وحقوقهم، فقال في (ص٣٥): «شيخ علماء الأمة».

وقال الذهبي في السير (٦/ ٢٥٥): «الإمام الصادق شيخ بني هاشم، أبو عبد الله الهاشمي العلوي النبوي المدني، أحد الأعلام».

وقال عنه وعن أبيه: «وكانا من جلَّة علماء المدينة». وقال في تذكرة الحفاظ (١/ ١٥٠): «وثقه الشافعي ويحيى بن معين، وعن أبي حنيفة قال: ما رأيتُ أفقه من جعفر بن محمد، وقال أبو حاتم: ثقة، لا يُسأل عن مثله».

علي بن عبد الله بن عباس رحمه الله:

قال ابن سعد في الطبقات (٥/ ٣١٣): «وكان عليُّ بن عبد الله بن عباس أصغر ولد أبيه سنًا، وكان أجمل قرشي على وجه الأرض، وأوسمه، وأكثره صلاة، وكان يُقال له السجَّاد؛ لعبادته وفضله».

وقال أيضًا (ص٣١٤): «وكان ثقةً قليل الحديث».

وفي تهذيب الكمال للمزي: «وقال العجلي وأبو زرعة: ثقة، وقال عمرو بن علي: كان مِن خيار الناس، وذكره ابنُ حبان في الثقات».

وقال الذهبي في السير (٥/ ٢٥٢): «الإمامُ السيد أبو الخلائف، أبو محمد الهاشمي السجاد، كان رحمه الله عالمًا عاملاً، جسيمًا وسيمًا، طُوالاً مهيبًا».

العبد الفقير

لشيخ الإسلام ابن تيمية

أنا الفقير إلى ربِّ البَرِيَّاتِ   أنا المُسَيكِينُ في مجموعِ حالاتي

أنا الظَّلومُ لنفسي وَهْيَ ظالِمتي   والخيرُ إنْ يَأْتِنا مِن عندِهِ ياتي

لا أستطيعُ لنَفْسي جَلْبَ منفعةٍ   ولا عن النفسِ لي دَفْعُ المَضَرَّاتِ

وليس لي دونَه مَوْلًى يُدَبِّرُني   ولا شفيعٌ إذا حاطَتْ خَطِيئاتي

إلاَّ بإذنٍ مِن الرحمنِ خالِقِنا   إلى الشفيع كما جاء بالآياتِ

ولستُ أملِكُ شيئًا دُونَه أبدًا   ولا شريكٌ أنا في بعضِ ذَرَّاتِ

ولا ظهيرٌ له كي يستعينَ به   كما يكونُ لأربابِ الولاياتِ

والفَقْرُ لي وصفُ ذاتٍ لازمٌ أبدًا   كما الغِنَى أبدًا وصفٌ له ذاتى

وهذه الحالُ حالُ الخَلْقِ أجْمَعِهم   وكُلُّهم عندَه عَبْدٌ له آتى

فمَن بَغَى مَطْلَبًا مِن غيرِ خالِقِه   فَهْوَ الجَهُولُ الظَّلُوم المشركُ العاتي

والحمدُ للهِ مِلْءَ الكونِ أجْمَعِهِ   ما كان منه وما مِن بعدُ قد ياتى

رسالة: «شرح السُّنة» للمُزَنِي

المؤلف: العلامة الفقيه الزاهد إمام الشافعية أبو إبراهيم إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل المزني المصري، تلميذ الشافعي وصاحب الكتاب المشهور «مختصر المزني».

مولده: ولد عام ١٥٧هـ.

وقد كان توجه المزني إلي دراسة الفقه والتخصص فيه بنصيحة من شيخه الشافعي، فقد قال له يومًا: هل لك في علم إذا أصبت فيه أجرت، وإن أخطأت لم تأثم؟ قلت - أي المزني -: وما هو؟ قال: الفقه. قال المزني: فلزمته وتعلمت منه الفقه ودرست عليه.

شيوخه: الإمام محمد بن إدريس الشافعي، ونعيم بن حماد.

تلاميذه: الإمام أبو بكر بن خزيمة - أبو جعفر الطحاوي.

ومن أقواله: عندما قال له رجل: يا أبا إبراهيم، إن فلانا يبغضك قال: ليس في قُرْبه أنس، ولا في بُعْده وحشة.

وفاته: ٢٦٤هـ بمصر.

موضوع الكتاب: بيان ما يعتقده «المزني» من أصول الدين في مسائل الإيمان والتوحيد وغيرها من المسائل على منهج السلف الصالح.

سبب تأليف الكتاب: أن جماعة من أهل السنة بأطرابلس المغرب كانوا في مجلس مذاكرة فجرى ذكر علماء أهل السنة كمالك والشافعي والثوري وأحمد بن حنبل والمزني وغيرهم، فعارض معارض في المزني، فكتبوا إلى المزني كتابا يسألونه أن يشرح لهم حقيقة اعتقاده، فأجابهم بهذه الرسالة.

قيمة الكتاب: إن إبراز هذه الرسالة ومثيلاتها يبين بجلاء أن هذا المعتقد ليس خاصًا بأئمة معينين، وإنما هو معتقد الصحابة والتابعين ومن سار على نهجهم إلى يوم الدين.

منهج المؤلف: ذكر المؤلف رحمه الله عقيدته بأسلوب مختصر وألفاظ وجيزة.

وسوف نقوم بعرض العقيدة كاملة.

نسخ الكتاب: طبعة بدراسة وتحقيق جمال عزون.

ما جاء في العقيدة

قال في العلو: عال على عرشه، وهو دان بعلمه من خلقه. أحاط علمه بالأمور، وأنفذ في خلقه سابق المقدور، وهو الجواد الغفور، و﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ [غافر:١٩].

وقال في القضاء والقدر: فالخلق عاملون بسابق علمه، ونافذون لما خلقهم له من خير وشر، لا يملكون لأنفسهم من الطاعة نفعا، ولا يجدون إلى صرف المعصية عنها دفعا.

وقال عن الملائكة: خلق الخلق بمشيئته عن غير حاجة كانت به. فخلق الملائكة جميعًا لطاعته، وجبلهم على عبادته؛ فمنهم ملائكة بقدرته للعرش حاملون، وطائفة منهم حول عرشه يسبحون، وآخرون بحمده يقدسون، واصطفى منهم رسلا إلى رسله، وبعض مدبرون لأمره.

وقال عن آدم عليه السلام: ثم خلق آدم بيده، وأسكنه جنته، وقبل ذلك للأرض خلقه، ونهاه عن شجرة قد نفذ قضاؤه عليه بأكلها، ثم ابتلاه بما نهاه عنه منها، ثم سلط عليه عدوه فأغواه عليها، وجعل أكله لها إلى الأرض سببا، فما وجد إلى ترك أكلها سبيلا، ولا عنه لها مذهبا.

وقال عن الجنة والنار: ثم خلق للجنة من بأعمالها بمشيئته عاملون، وبقدرته وبإرادته ينفذون.

وخلق من ذريته للنار أهلا، فخلق لهم أعينا لا يبصرون بها، وآذانا لا يسمعون بها، وقلوبا لا يفقهون بها؛ فهم بذلك عن الهدى محجوبون، وبأعمال أهل النار بسابق قدره يعملون.

وقال في الإيمان: والإيمان قول وعمل مع اعتقاده بالجنان، قول باللسان، وعمل بالجوارح والأركان، وهما سيان ونظامان وقرينان، لا نفرق بينهما، لا إيمان إلا بعمل، ولا عمل إلا بإيمان.

والمؤمنون في الإيمان يتفاضلون، وبصالح الأعمال هم متزايدون. ولا يخرجون بالذنوب من الإيمان، ولا يكفرون بركوب كبيرة ولا عصيان، ولا نوجب لمحسنهم الجنان بعد من أوجب له النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ولا نشهد على مسيئهم بالنار.

وقال عن القرآن: والقرآن كلام الله عز وجل، ومن لدنه، وليس بمخلوق فيبيد.

وقال عن الصّفات: وكلمات الله، وقدرة الله، ونعته وصفاته، كاملات غير مخلوقات، دائمات أزليات، وليست بمحدثات فتبيد، ولا كان ربنا ناقصا فيزيد.

جلّت صفاته عن شبه صفات المخلوقين وقصرت عنه فطن الواصفين، قريب بالإجابة عند السؤال، بعيد التّعزّز لا ينال.

عال على عرشه، بائن من خلقه، موجود و ليس بمعدوم ولا بمفقود.

وقال عن الآجال: والخلق ميتون بآجالهم عند نفاد أرزاقهم، وانقطاع آثارهم.

وقال عن القبر: ثم هم بعد الضّغطة في القبور مساءلون.

وقال في النشر والحساب: وبعد البلي منشورون، ويوم القيامة إلى ربّهم محشورون، ولدى العرض عليه محاسبون، بحضرة الموازين، ونشر صحف الدّواوين، أحصاه الله ونسوه، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة لو كان غير الله عز وجل الحاكم بين خلقه، لكنه الله يلي الحكم بينهم بعدله بمقدار القائلة في الدنيا، وهو أسرع الحاسبين، كما بدأه لهم من شقاوة وسعادة يومئذ يعودون، فريق في الجنة، وفريق في السعير.

وقال في الجنّة: وأهل الجنّة يومئذ في الجنة يتنعمون، وبصنوف اللّذّات يتلذّذون، وبأفضل الكرامات يحبرون.

وقال في الرّؤية: فهم حينئذ إلى ربّهم ينظرون، لا يمارون في النظر إليه ولا يشكّون، فوجوههم بكرامته ناضرة، وأعينهم بفضله إليه ناظرة، في نعيم دائم مقيم، ﴿ لاَ يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴾ [الحجر:٤٨].

وأهل الجحد عن ربهم يومئذ محجوبون، وفي النار يسجرون، خلا من شاء الله من الموحدين إخراجهم منها.

وفي طاعة الأئمة والأمراء ومنه الخروج عليهم قال: والطاعة لأولي الأمر فيما كان عند الله عز وجل مرضيا، واجتناب ما كان عند الله مسخطا.

وترك الخروج عند تعدّيهم وجورهم، والتّوبة إلى الله عز وجل كيما يعطف بهم على رعيّتهم.

وفي الإمساك عن تكفير أهل القبلة قال: والإمساكُ عن تكفير أهل القبلة، والبراءة منهم فيما أحدثوا، ما لم يبتدعوا ضلالا؛ فمن ابتدع منهم ضلالا، كان على أهل القبلة خارجا، ومن الدّين مارقا، ويتقرّب إلى الله عز وجل بالبراءة منه، ويهجر ويحتقر،

وتجتنب غدَّته؛ فهي أعدى من غدَّة الجرب.

وقال في الصحابة: ويقال بفضل خليفة رسول الله ﷺ أبي بكر الصديق رضي الله عنه؛ فهو أفضل الخلق وأخيرهم بعد النبي ﷺ. ونثنِّي بعده بالفاروق وهو عمر بن الخطاب رضي الله عنه؛ فهما وزيرا رسول الله ﷺ، وضجيعاه في قبره، وجليساه في الجنَّة. ونثَلِّث بذي النَّورين عثمان بن عفَّان رضي الله عنه. ثمَّ بذي الفضل والتَّقى علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين.

ثم الباقين من العشرة الذين أوجب لهم رسول الله ﷺ الجنة، ونخلص لكل رجل منهم من المحبَّة بقدر الذي أوجب لهم رسول الله ﷺ من التَّفضيل. ثمَّ لسائر أصحابه من بعدهم رضي الله عنهم أجمعين.

ويقال بفضلهم، ويذكرون بمحاسن أفعالهم، ونمسك عن الخوض فيما شجر بينهم؛ فهم خيار أهل الأرض بعد نبيهم، ارتضاهم الله عز وجل لنبيِّه، وخلقهم أنصارًا لدينه؛ فهم أئمَّة الدين، وأعلام المسلمين، فرحمة الله عليهم أجمعين.

وفي الصلاة وراء الأئمة والجهاد معهم والحج قال: ولا يترك حضور صلاة الجمعة، وصلاتُها مع برِّ هذه الأمَّة وفاجرها لازم، ما كان من البدعة بريًا فإن ابتدع ضلالا فلا صلاة خلفه والجهاد مع كل إمام عدل أو جائر، والحجُّ.

وقال في قصر الصلاة والاختيار بين الصيام والإفطار في الأسفار: وإقصار الصلاة في الأسفار، والاختيار فيه بين الصيام والإفطار في الأسفار إن شاء صام وإن شاء أفطر.

وفي اجتماع أئمَّة الهدي الماضين على هذه المقالات: هذه مقالات وأفعال اجتمع عليها الماضون الأوَّلون من أئمَّة الهدى، وبتوفيق الله اعتصم بها التَّابعون قدوةً ورضًى، وجانبوا التَّكلف فيما كفوا، فسدَّدوا بعون الله ووفَّقوا، لم يرغبوا عن الاتِّباع فيقصِّروا، ولم يجاوزوه تزيدا فيعتدوا.

فنحن بالله واثقون، وعليه متوكِّلون، وإليه في اتِّباع آثارهم راغبون.

وفي المحافظة على أداء الفرائض والرَّواتب، واجتناب المحرمات: فهذا «شرح السَّنة» تحرَّيت كشفها، وأوضحتها؛ فمن وفَّقه الله للقيام بما أبنته مع معونته له بالقيام على أداء فرائضه بالاحتياط في النَّجاسات، وإسباغ الطَّهارة على الطَّاعات، وأداء الصَّلوات على الاستطاعات، وإيتاء الزَّكاة على أهل الجدات، والحجِّ على أهل الجدة والاستطاعات، وصيام الشَّهر لأهل الصِّحَّات، وخمس صلوات سنَّها رسول الله ﷺ من بعد الصلوات: صلاة الوتر في كل ليلة، وركعتي الفجر، وصلاة الفطر والنَّحر، وصلاة كسوف الشمس والقمر إذا نزل، وصلاة الاستسقاء متى وجب.

واجتناب المحارم، والاحتراز من النَّميمة، والكذب، والغيبة، والبغي بغير الحقِّ، وأن يقال على الله ما لا يعلم. كل هذا كبائر محرَّمات.

والتَّحرِّي في المكاسب، والمطاعم، والمحارم، والمشارب، والملابس، واجتناب الشَّهوات؛ فإنَّها داعية لركوب المحرَّمات.

فمن رعى حول الحمى؛ فإنَّه يوشك أن يواقع الحمى.

فمن يُسِّر لهذا؛ فإنَّه من الدين على هدى، ومن الرَّحمة على رجاء، ووفَّقنا الله وإيَّاك إلى سبيله الأقوم، بمنِّه الجزيل الأقدم، وجلاله العليِّ الأكرم، والسَّلام عليكم ورحمة الله وبركاته وعلى من قرأ علينا السلام، ولا ينال سلامُ الله الضالين.

والحمد لله رب العالمين

أطفال المسلمين

ركن الأسرة

كيف رباهم النبي الأمين

الحلقة الثامنة عشرة

إعداد: جمال عبد الرحمن

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله.. وبعد:

في هذا العدد نستكمل إن شاء الله ما جاء من هدي النبي ﷺ في تعليم الأطفال آداب الاستئذان والزيارة والأدب مع العلماء، وأدب الكلام ومنزلة الأخ الأكبر، واختيار الصحبة الصالحة.

(٨٢) ويلقنهم ﷺ آداب الاستئذان:

الطفل وهو صغير لم يبلغ الحلم يستأذن عند دخول غرف النوم، على والديه أو غيرهما ثلاث مرات، تكون العورات فيها عُرْضة للانكشاف في تلك الأوقات وهي: قبل صلاة الفجر، ووقت الظهيرة- وهي القيلولة- وبعد صلاة العشاء. وقد حدد الإسلام هذه الثلاثة للطفل الصغير قبل الاحتلام؛ لأنه في هذه المرحلة يكون كثير الحركة واللعب، والدخول والخروج، فيصعب ويشق عليه الاستئذان في كل الأوقات. فإذا اقترب من البلوغ والاحتلام فإنه يقلُّ لعبه ودخوله وخروجه، وصار يفهم ولا يشقُّ عليه أن يستأذن بالدخول على والديه في سائر الأوقات كلما وجد الباب مغلقًا. وقد راعى الإسلام الحنيف هذه الجوانب كلها؛ قال الله العليم الحكيم الخبير بأحوال الخلق: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِن قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ الظَّهِيرَةِ وَمِن بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٥٨) وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [النور: ٥٨، ٥٩].

وكان أنس خادم النبي ﷺ يدخل عليه بغير إذن، فجاء يومًا ليدخل، فقال له: «كما أنت يا بُني؛ فإنه قد حدث بعدك أمر؛ لا تدخلن إلا بإذن»(١).

ويبيّن ﷺ أن المستأذن لا يقف في مواجهة الباب مباشرة؛ ومن هنا تظهر القيمة العظمى للاستئذان، كما جاء عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: اطّلع رجل من جُحْر في بعض حُجَر النبي ﷺ، ومع النبي مِدْرَى يحك به رأسه، فلما رآه النبي ﷺ قال: «لو أعلم أنك تَنظر لطعنتُ به في عينك، إنما جُعل الإذن من أجل البصر»(٢).

فمن الأدب حقًا عدم استقبال الباب مباشرة، والوقوف بالوجه في مقابله، فيجب التنحِّي يمينًا أو يسارًا، بحيث إذا فُتح الباب؛ لا يتمكن النظر من رؤية شيء يكره أهلُ البيت اطلاعَ أحدٍ عليه، أو تقع العين على عورة فجاة، فيحصل الضيق في الصدر والحرج في النفس، والله ما جعل علينا في الدين من حرج.

ويكون الاستئذان ثلاث مرات، فإن لم يؤذن له فليرجع كما أخبر بذلك ﷺ(٣)، وأن يقول: السلام عليكم، أأدخل؟ كما علَّم رسول الله ﷺ أصحابه ذلك، وإذا قال له صاحب البيت: مَن أنت؟ لا يقل: أنا! وإنما يُعرِّف نفسه ويقول: فلان؛ لنهي النبي ﷺ عن ذلك كما في الصحيحين.

وتلك الأخلاق وهذه المبادئ قد أرسى قواعدها رسولنا محمد ﷺ، وكان هو قدوة فيها، فليتأسَّ به المسلمون، وليقتد به المربُّون، في تنشئة جيل يرضى عنه الله وعباده الصالحون.

(٨٣) ويشجعهم ﷺ على حضور الأفراح وزيارة الأقارب لنيل التجارب:

عن أنس رضي الله عنه قال: رأى النبي ﷺ الصبيان والنساء مقبلين- حسبتُ أنه قال: من عُرْس- فقام مُمْثِلا (منتصبًا)، وفي رواية مُمْتَنًا (فرحًا) فقال: « اللهم أنتم من أحب الناس إليَّ...» قالها ثلاث مرار(٤). يعني الأنصار.

وبهذا يتم تكوين الطفل اجتماعيًا بأخذه إلى الأماكن العامة والأفراح، بشرط عدم مخالطة أهل التبرج والسفور، ولا الجلوس مع مرتكبي المخالفات الشرعية كالمدخنين والمغنين أهل الفسق.

كذلك فإن التردد على صالحي الأقارب فوق أنه قربة لله تعالى؛ فإن فيه الاستفادة، وابن عباس رضي اللَّهُ عنهما يحدثنا عن ذلك فيقول: «بتُّ عند خالتي ميمونة بنت الحارث رضي اللَّهُ عنها، زوج النبي ﷺ فرقبت صلاة رسول الله ﷺ؛ كيف يصلي فقام فبال ثم غسل وجهه وكفيه ثم نام، ثم قام فعمد إلى القربة فأطلق شناقها (رباطها) ثم صبَّ في الجفنة أو القصعة (إناء يسع ما يشبع العشرة) وأكبَّ يده عليها ثم توضأ وضوءًا حسنًا بين الوضوئين (وَسَط) ثم قام يصلي فقمت عن يساره فأخذني فأقامني عن يمينه، فتكاملت صلاة رسول الله ﷺ ثلاث عشرة ركعة، قال: ثم نام حتى نفخ (تنفس بصوت وهو نائم) وكنا نعرفه إذا نام بنفخه، ثم خرج إلى الصلاة فصلى، فجعل يقول في صلاته أو في سجوده: « اللهم اجعل في قلبي نورا، وفي سمعي نورا... الحديث »(٥).

(٨٤) ويحثهم ﷺ على مجالسة العلماء والتأدب معهم:

إن اللّه سبحانه أثنى على مجالس العلم والجالسين فيها، ما دامت مجالسهم من أجله سبحانه، فقال سبحانه وتعالى في الحديث القدسي: « وجبت محبتي للمتحابين فيَّ والمتجالسين فيَّ والمتزاورين فيَّ »(٦).

وقال ﷺ: « ما اجتمع قوم في بيت من بيوت اللّه؛ يتلون كتاب اللّه ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم اللّه فيمن عنده »(٧).

كما حذر النبي ﷺ من مجادلة العلماء بالعلم جدالا باطلا، والافتخار عليهم، ومباهاتهم بالعلم.

عن جابر قال : قال ﷺ: «لا تعلَّموا العلم لتباهوا به العلماء أو تماروا به السفهاء، ولا لتجترئوا به المجالس، فمن فعل ذلك فالنار النار»(٨). وحث النبي ﷺ أيضًا على إكرام العلماء، ومعرفة حقِّهم وقدرهم، فقال صلوات اللّه تعالى وسلامه عليه: « إن من إجلال اللّه؛ إكرام ذي الشيبة المسلم، وحامل القرآن غير الغالي فيه والجافي عنه، وإكرام ذي السلطان المقسط»(٩). والمقسط: العادل.

وقال ﷺ: « ليس منا من لم يرحم صغيرنا، ويوقر كبيرنا ويعرف شرف كبيرنا »(١٠). فأهل الإسلام يوقِّرون علماءهم، ويعرفون قدرهم.

وقال ﷺ: « ليس من أُمتي من لم يُجِل كبيرنا، ويرحم صغيرنا،

ويعرف لعالمنا حقه »(١١).

قال العلماء: « وينبغي أن يُعلَّم طاعة والديه ومعلّمه ومؤدّبه، وكل من هو أكبر منه سنًا؛ من قريب أو أجنبي، وأن ينظر إليهم بعين الجلالة والتعظيم، وأن يترك اللعب بين أيديهم ». ولا شك أن الطاعة في المعروف.

ولم يكن الحث على مجالسة العلماء ومصاحبتهم فقط؛ بل مصاحبة المجاهدين في ميادين القتال. وانظر الفقرة التالية.

الصحابة يصطحبون أبناءهم في الغزو لتعلم المواجهة

قال عروة بن الزبير رضي الله عنهما: إن أباه الزبير كان به آثار ضربات في جسمه ضُربَها يوم بدر، قال: كنتُ أُدخِل أصابعي في تلك الضربات ألعب وأنا صغير، قال عروة وكان معه عبد الله بن الزبير يوم اليرموك وهو ابن عشر سنين فحمله على فرس ووكل به رجلاً(١٢). فانظر يا أخي إلى إعداد الأطفال وصناعة الأبطال.

وكذلك قال عبد الله بن الزبير: كنت أنا وعمر بن أبي سلمة يوم الخندق مع النسوة في أُطُم حسان (بناء مرتفع كالحصن) فكان يطأطئ (يخفض) لي مرة فأنظر، وأطأطئ له مرة فينظر، فكنتُ أعرف أبي إذا مرَّ على فرسه في السلاح إلى بني قريظة، قال: فذكرتُ ذلك لأبي، فقال: ورأيتني يا بني؟ قلتُ: نعم(١٣).

ما أحوجنا إلى جيل مثل هذا، يبيّض الله به وجه الأرض.

(٨٥) ويحذرهم ﷺ من مجالسة الأشرار:

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: « الرجل على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل »(١٤).

وعن أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ: « مَثل الجليس الصالح والسوء، كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يُحذيك(١٥) وإما أن تبتاع منه وإما أن تجد منه ريحًا طيبة، ونافخ الكير؛ إما أن يحرق ثيابك أو تجد منه ريحًا خبيثة »(١٦).

ولعل الحديثين واضحان في بيان مضرة جليس السوء. كذلك فإن من خالط الأشرار واتخذهم أصحابًا فهو مثلهم، ودينه دينهم، ومصيره مصيرهم، وإن قال غير ذلك.

قال بعض العلماء: وقد قال الله تعالى: ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا ﴾ [التحريم: ٦]، ومهما كان الأب يصون الصبي عن نار الدنيا، فبأن يصونه عن نار الآخرة أَوْلَى. وصيانته بأن يؤدبه، ويهذبه، ويعلّمه محاسن الأخلاق، ويحفظه من قرناء السوء.. .ولا يستعمل في حضانته وإرضاعه إلا امرأة صالحة متدينة تأكل الحلال ». اهـ.

وقد بيّن الله تعالى شدة ندم مَن يجالسون أهل السوء ويتخذونهم أخلاء ويسيرون في ركابهم، ويتركون مجالسة أهل الخير والسير على دربهم المستقيم، كما قال سبحانه: ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً (٢٧) يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلانًا خَلِيلاً (٢٨) لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنسَانِ خَذُولاً ﴾ [سورة الفرقان: ٢٧- ٢٩].

والحمد لله رب العالمين.

هوامش:

(١) صحيح الأدب المفرد ٨٠٧ . (صحيح لغيره) قاله الألباني .

(٢) البخاري ٥٧٧٢، ومسلم .

(٣) صحيح مسلم .

(٤) البخاري ٣٥٠١ ، ومسلم .

(٥) مسلم ،كتاب صلاة المسافر وقصرها ١٢٧٩ . وأحمد ، مسند بنى هاشم ١٤٢٦ .

(٦) صحيح الجامع ح ٤٣٣١ عن معاذ .

(٧) مسلم ج ٤ ص ٢٠٧٤، وغيره .

(٨) (صحيح) انظر صحيح الجامع ح ٧٣٧٠ .

(٩) (حسن) ، انظر صحيح الجامع ح ٢١٩٩، والغُلوّ : هو الإفراط ومجاوزة الحد .

(١٠) صحيح الجامع ح ٥٤٤٤ .

(١١) إسناده حسن . ومعنى يُجل : اي يحترم . وقال الألباني في صحيح الجامع : حسن (ح ٥٤٤٣) .

(١٢) البخاري ، كتاب المغازي ٣٦٧٨ .

(١٣) مسلم ،كتاب فضائل الصحابة ج٤ ص٢٤١٦ .

(١٤) انظر السلسلة الصحيحة (ح٩٢٧) .

(١٥) يحذيك اي : يعطيك ، ونافخ الكير هو الحداد .

(١٦) البخاري (٥١٠٨) ، ومسلم .

دروس من سيرة السلف في الحكم والقضاء

إعداد : محمد أحمد عيسى

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد... أما بعد :

قال الله تعالى : ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [الحديد: ٢٥].

إن إقامة الحكم والعدل في الأرض من أسمى الغايات؛ إذ بها تشيع الطمأنينة وينتشر الأمن ويصلح للناس دينهم ودنياهم، وإنما يتحقق العدل بإيصال كل حق إلى مستحقه والحكم بمقتضى ما شرع الله من أحكام وبتجنب الهوى ، فإن الهوى يفضي إلى الهوان: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠].

إن إقامة العدل هي وظيفة الرسل الكرام وهي رسالة أتباع الرسل من بعدهم، وقد اشترطت الشريعة الإسلامية فيمن يتولى الحكم والقضاء شروطًا فراجعها في كتب الفقه.

والمقصود هنا ذكر بعض النماذج التي نستخلص منها بعض الدروس المستفادة.. ومن هذه النماذج ما يلي :

١- تورع السلف عن تولي القضاء وفرارهم منه

روي أن ابن شريح دعي إلى أن يتولى قضاء مصر، فلما عرض عليه الأمير امتنع فدعا له بالسيف (كأنه يريد أنه يهدده)، فلما رأى ذلك أخرج مفتاحًا كان معه وقال: هذا مفتاح بيتي وقد اشتقت للقاء ربي، فلما رأى الأمير عزيمته تركه.

وكان هذا فعل كثير من السلف؛ يخافون من تولي القضاء لخوفهم من العجز عن القيام به على الوجه الأكمل وكانوا يقولون: «من تولى القضاء فقد ذبح بغير سكين».

٢- شدة البحث والتنقيب وتحري الصواب خوفًا من الجور

ذكر محمد بن يوسف الكندي أن إبراهيم بن الجراح تولى القضاء في سنة ٢٠٤هـ وقد قال عمر بن خالد : ما صحبت أحدًا من القضاة كإبراهيم بن الجراح ، كنت إذا عملت له المحضر وقرأته عليه أقام عنده ما شاء الله أن يقيم ويرى فيه رأيه، فإذا أراد أن يقضي به دفعه إليّ لأنشئ منه سجلاً فأجد في ظهره (في ظهر السجل): قال أبو حنيفة كذا ، وفي سطر: قال ابن أبي ليلى كذا، وفي سطر آخر: قال أبو يوسف ، وقال مالك كذا، ثم أجد على سطر منها علامة كالخط فأعلم أن اختياره وقع على ذلك القول فأنشئ السجل عليه.

وهكذا ينبغي على القاضي أن يبحث عن أقوال الأئمة المبنية على الدليل الصحيح ثم يرجح منها ما يقتضيه واقع المسألة وما يؤيده الدليل القوي والبرهان الواضح، ولا يقلد غيره إذ قد اشترط أكثر الفقهاء في القاضي والحاكم أن يكون من أهل الاجتهاد.

٣- استعمال الحكمة وإعمال العقل والاستدلال بالقرائن

عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «كانت امرأتان معهما ابناهما، جاء الذئب فذهب بابن إحداهما، فقالت صاحبتها: إنما ذهب بابنك، وقالت الأخرى: إنما ذهب بابنك، فتحاكما إلى داود فقضى للكبرى، فخرجتا على سليمان بن داود عليهما السلام فأخبرتاه، فقال: ائتوني بالسكين أشقه بينهما، فقالت الصغرى: لا تفعل يرحمك الله، هو ابنها، فقضى به للصغرى».

وهذا من فقه سليمان، فقد عمد إلى هذا الأسلوب لمعرفة الأم الحقيقية فلما قال: ائتوني بالسكين أشقه تحركت عاطفة الأم الحقيقية ورفضت أن يُقتل ابنها وآثرت أن يبقى حيًا بعيدًا عنها على قتله، فاستدل سليمان بهذه القرينة على أنه ابنها.

تحذير الداعية من القصص الواهية

« الحلقة الخامسة والثلاثون »

«قصة المُغسِّلة والإمام مالك»

إعداد
علي حشيش

نواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم حتى يقف على حقيقة هذه القصة التي اشتهرت وانتشرت على ألْسِنَة القصاص والخطباء والوعاظ، ومما ساعد على انتشارها انتشارًا واسعًا بين الناس أن أحد الخطباء المشهورين ـ عفا الله عنا وعنه ـ أورد هذه القصة في خطبة له بعنوان «الإمام مالك بن أنس» برقم (١٧٢)، وزاد عليها أن جعل هذه القصة سببا في قولهم «لا يفتى ومالك في المدينة» وهذه القصة وصلت بالأسلوب الخطابي إلى أكثر من مائة سطر، عند تحويلها من المسموع إلى المقروء في كتاب «الخطب المنبرية» الجزء الثاني عشر ص(٧، ٨، ٩، ١٠، ١١).

وإلى القارئ الكريم القصة كما جاءت في كتاب «الخطب المنبرية» ص(٧) ولكن أجردها من الأشعار والأخبار التي ليست أصلا في القصة والتي استخدمت للوعظ من خلال القصة مثل «البر لا يبلى.. والذنب لا ينسى.. والديان لا يموت..»، وهو أيضا خبر لم يصح عن النبي ﷺ.

وهذه هي القصة: قال: «ولد مالك عام ٩٥ هجرية، ومات عام ١٧٩ هجرية، وسماه الناس تسمية لم ينلها غيره.. لا يفتى ومالك في المدينة.. ما دام مالك في المدينة.. فلا فتوى ومالك في المدينة أتدرون لماذا أيها السادة الأعزاء؟ أتدرون لماذا لا يفتى ومالك في المدينة؟

اسمعوا هذا الحادث ثم بعد ذلك تأملوا في ملك الله.

«إن امرأة من نساء المدينة المنورة ماتت، ولما ماتت جيء لها بالمغسِّلة لتغسلها، ولما وضع الجثمان ليغسل، وجاءت المغسلة تصب الماء على جسد الميتة، وبينما هي تصب الماء على فرجها إذ ذكرتها بسوء وقالت: كثيرا ما زنى هذا الفرج. فماذا حدث؟ هل يترك الأمر هكذا وإن كان المقذوف بالزنا ميتا؟! فماذا حدث؟ لقد التصقت يد المغسلة بجسم الميتة، التصقت كأن مغناطيسًا شديد الجذب جذبها، بحيث أصبحت لا تقوى على تحريك يدها، وأغلقت الباب حتى لا يراها أحد على هذه الحال، وأهل الميتة في خارج الحجرة، ينتظرون تكفين الجثة؛ أنحضر الكفن؟ فتقول المغسلة مهلا. أنحضر الكفن؟ فتقول: مهلا. ودخلت إحداهن فوجدت الموقف هكذا، وظل الموقف على ما هو عليه، وأخذوا رأي العلماء في يد المغسلة والميتة قال أحد العلماء: «نقطع يد المغسِّلة لتدفن الميتة.. فإن دفن الميت أمر واجب»، وقال بعضهم: «بل نقطع قطعة من جسد الميتة لنخلِّص المغسلة فإن الحي أولى من الميت».

واحتدم الخلاف، ووقف علماء المدينة حائرين أيقطعون يد المغسلة، أم يقطعون قطعة من جسد الميتة وأخيرا اهتدوا إلى أن يسألوا الإمام مالك بن أنس رضي الله عنه، قالوا: كيف نختلف وبيننا الإمام مالك؟ ذهبوا إلى الإمام مالك وسألوه، وإذا بالإمام مالك يأتي على جناح السرعة، وسألها من وراء حجاب، وقال لها ماذا قلت في حق الميتة؟ قالت: يا إمام لقد رميتها بالزنا. قال الإمام مالك: تدخل بعض النسوة على المغسلة وتجلدها ثمانين جلدة.. مصداقا لقول الله جلَ في علاه: ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ

فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلاَ تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور:٤].

ودخلت النساء وجلدن المرأة المغسلة القاذفة، وبعد تمام الجلدة الثمانين رفعت يدها عن جسد الميتة، من هنا قيل لا يفتى ومالك في المدينة» اهـ.

قلت: هذه هي القصة التي قالها الخطيب - عفا الله عنا وعنه - وأوردها في كتابه «الخطب المنبرية» في أكثر من مائة سطر، اختصرتها في ستة وعشرين سطرا، محافظا للأمانة العلمية على ما خرج من لسانه حول هذه القصة».

التحقيق

وإلى القارئ الكريم تحقيق هذه القصة التي اشتهرت وانتشرت في كل مكان، فلقد أورد الحافظ ابن حجر في «لسان الميزان» (٣٧٢/٦)/(٩٣٢٨/٢٥٤) هذه القصة التي ذكرها الخطيب بتصرف، وقد أورد الحافظ بسندها حيث قال: «قرأت بخط الحافظ قطب الدين الحلبي ما نصه: «... وسيدي أبي عبد الرحمن بن عمر بن محمد بن سعيد، وجدت بخط عمي بكر بن محمد بن سعيد، حدثنا يعقوب بن إسحاق بن حجر العسقلاني إملاء قال: حدثنا إبراهيم بن عقبة، حدثني المسيب بن عبد الكريم الخثعمي، حدثتني أمة العزيز امرأة أيوب بن صالح صاحب مالك قالت: «غسلنا امرأة بالمدينة، فضربت امرأة يدها على عجيزتها فقالت: ما علمتك إلا زانية، أو مأبونة، فالتزقت يدها بعجيزتها، فأخبروا مالكا فقال: «هذه المرأة تطلب حدها، فاجتمع الناس، فأمر مالك أن تضرب الحدَّ، فضربت تسعة وسبعين سوطا، ولم تنزع اليدُ، فلما ضربت تمام الثمانين، انتزعت اليد، وصلى على المرأة ودفنت» اهـ.

قلت: (المأبون) من يتعاطى اللواط كذا في «تكملة المعاجم العربية» (٦٨/١) والحافظ رحمه الله عندما أورد القصة في «لسان الميزان» لم يسلك مسلك الخطباء والوعاظ والقصاص، ولكنه سلك مسلك حذاق المحدثين: هذا المسلك يبين في أمرين:

الأول: أورد القصة بسندها فساعدنا بكشف عوارها، وهذا طريق أهل الحديث الذين قرروا أن من أسند فقد أحال، ومن أسند فقد برئت عهدته؛ لأنه ذكر الوسيلة إلى معرفة درجة الحديث.

ولقد عجبت من خطيب في بلدنا قلد ذلك الخطيب فنقل القصة بحروفها وعباراتها وزوائدها التي تجاوزت ثمانين سطرا، وعجز عن حفظ السند الذي لم يتجاوز أربعة أسطر بها يتبين المحذور.

الثاني: الحافظ ابن حجر لم يكتف بذكر السند لهذه القصة بل أشار إلى أن هذه القصة واهية، وعلتها يعقوب بن إسحاق العسقلاني حيث أورد هذه القصة في ترجمته وقال: «وقد وجدت له حكاية يشبه أن تكون من وضعه» ثم ذكر القصة.

قلت: فالقصة كما أشار الحافظ ابن حجر: موضوعة.

وعلتها يعقوب بن إسحاق العسقلاني، قال الإمام الذهبي في «الميزان» (٩٨٠٤/٤٤٩/٤): «يعقوب بن إسحاق العسقلاني: كذاب».

وأورده الحافظ ابن حجر في «لسان الميزان» (٣٧٢/٦) (٩٣٢٨/٢٥٤).

أ - ثم ذكر له أحاديث وقال: «هذا من أباطيل يعقوب».

ب - ثم بيَّن اسمه بالتفصيل فقال: «هو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم بن يزيد بن حجر بن محمد العسقلاني المعروف بابن حجر» أهـ.

جـ - بيَّن التاريخ فقال: «ولد سنة أربع وعشرين ومائتين، ومات بعد العشرين وثلاثمائة».

فائدة: فابن حجر العسقلاني الحافظ يترجم لابن حجر العسقلاني الكذاب.

وهذا النوع يسمى في علوم الحديث «المتفق والمفترق».

وهو أن تتفق أسماء الرواه وأسماء آبائهم فصاعدا خطًا ولفظًا، وتختلف أشخاصهم، ومن ذلك أن تتفق أسماؤهم وكناهم أو أسماؤهم ونسبتهم ونحو ذلك، وهذا النوع مهمٌ جدًا فقد زلق بسبب الجهل به غيرُ واحد من أكابر العلماء، لذلك قال الحافظ في «شرح النخبة» ص(١٧٦): «وفائدة معرفته: خشية أن يُظنَّ أن الشخصية شخص واحد».

تطبيق على «المتفق والمقترن»

المتفق «الجد والنسب»	المفترق			
	المرتبة	الاســـم	الميلاد	الوفاة
ابن حجر العسقلاني	كذاب صاحب هذه القصة	يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم بن يزيد بن حجر بن محمد العسقلاني	٢٢٤هـ	٣٢٠هـ
ابن حجر العسقلاني	الحافظ صاحب التصانيف تزيد على (٢٧٠) مصنف	أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي بن محمود بن حجر الكناني العسقلاني الشافعي تلميذ العراقي . خطب في الجامع الأزهر . وجامع عمرو بن العاص . تولى منصب الإفتاء أكثر من ثلاثين عاما	٧٧٣هـ على شاطئ نيل مصر القديمة	٨٥٢هـ

وعلة أخرى في سند القصة: المسيب بن عبد الكريم.

قال الذهبي في «الميزان» (٨٥٤٦/١١٦/٤): المسيَّب بن عبد الكريم اتهمه الدارقطني، ووافقه ابن حجر في «لسان الميزان» (٤٧/٦) (٨٣٩٣/١٦٠٨) وأورد له حديثاً وقال: «هذا حديث باطل عن مالك عن نافع عن ابن عمر، والمتهم بوضعه المسيَّب بن عبد الكريم» اهـ.

قلت: أورد ابن عراق في «تنزيه الشريعة» (١٧/١) أسماء المجروحين فقال: «سرد أسماء الوضّاعين، والكذابين، ومن كان يسرق الأحاديث، ويقلب الأخبار».

ثم ذكر في هذه الأسماء: المسيب بن عبد الكريم في حرف الميم رقم (٣٣٦) (١١٧/١).

وعلة ثالثة: إبراهيم بن عقبة مجهول انظر «لسان الميزان» (٢٣٩/٧٧/١) وبيان المتفق والمفترق في اسم إبراهيم بن عقبة.

بهذا يتبين أن هذه القصة واهية مكذوبة مفتراة على الإمام مالك رحمه الله، وإن تعجب فعجب أن هذه القصة المفتراة على الإمام مالك خطبها ذلك الخطيب بصيغ الجزم مثل قال الإمام مالك، أمر الإمام مالك أن تضرب الحدّ، بل بدأ القصة بالتأكيد بإنّ، حيث قال: إنّ امرأة من نساء المدينة ماتت...» وفي أثناء القصة (بقد) حيث قال: «لقد التصقت يد المغسلة بجسم الميتة...».

«إخلال وتساهل»

قال الإمام النووي في «المجموع شرح المهذب للشيرازي» (١٠٤/١):

«قال العلماء المحققون من أهل الحديث وغيرهم: إذا كان الحديث ضعيفا لا يقال فيه قال رسول الله ﷺ أو فعل أو أمر أو نهى أو حكم وما أشبه ذلك من صيغ الجزم، وكذا لا يقال فيه روَى أبو هريرة، أو قال، أو ذكَرَ، أو أخبر، أو حدث، أو نقل، أو أفتى، وما أشبهه، وكذلك لا يقال ذلك في التابعين ومن بعدهم فيما كان ضعيفا، فلا يقال في شيء من ذلك بصيغة الجزم.

وإنما يقال في هذا كله: رُويَ عنه، أو حُكِيَ أو جاء عنه، أو بلغنا عنه، أو يُقَال، أو يُذكر، أو يُحكَى، أو يُرْوى، أو يُرْفع أو يُعْزَى وما أشبه ذلك من صيغ التمريض، وليست من صيغ الجزم.

قالوا فصيغ الجزم موضوعة للصحيح أو الحسن، وصيغ التمريض لما سواهما، وذلك أن صيغة الجزم تقتضي صحته عن المضاف إليه، فلا ينبغي أن يطلق إلا فيما صح وإلا فيكون الإنسان في معنى الكاذب عليه، وهذا الأدب أخلَّ به المصنِّف وجماهير الفقهاء من أصحابنا وغيرهم، بل جماهير أصحاب العلوم مطلقا، ما عدا حذاق المحدثين.

وذلك تساهل قبيح، فإنهم يقولون كثيرا في الصحيح: رُوِيَ عنه، وفي الضعيف: قال، وروَى فلان، وهذا حيدٌ عن الصواب» اهـ.

قلت: انظر إلى أقوال العلماء المحققين في أصول الرواية، ثم احذر الذين يتقوّلون بعض الأقاويل على الصحابة والتابعين ومن بعدهم، ويبيحون لأنفسهم هذا الصنيع.

ثم انظر إلى ما نقله عنهم الإمام النووي من قولهم: «وكذلك لا يقال ذلك في التابعين ومن بعدهم فيما كان ضعيفا».

قلت: فما بالكم بما كان واهيا وموضوعا وقد بيَّنا حكم روايته آنفا.

(إرداف غير صحيح)

وهذه القصة المكذوبة المفتراة على الإمام مالك بن أنس أردفها الخطيب بحديث لا يصح عن الإمام مالك، والأمر خطير، حيث إن الحديث متعلق بأمر غيبي، وإن تعجب فعجب أن ذلك الخطيب أورده بلا تخريج ولا تحقيق، والأعجب أنه قدم له بصيغة الجزم في أربعة أسطر مما يوهم القارئ والمستمع من العبارات الخطابية أن الحديث ثابت وفي أعلى درجات الصحة، ولكن هيهات هيهات، فتلك السطور خالية من الصناعة الحديثية يشهد على ذلك قوله: «إن الرسول العظيم تنبأ لمالك. ومالك لم ير النبي.. ولم يره النبي.. فإن النبي لحق بالرفيق الأعلى في العام الحادي عشر من الهجرة. بينما مالك وُلِدَ بعد ذلك في العام الخامس والتسعين من الهجرة، ولكن الرسول نظر من وراء الحجب، ورأى في الأفق الساطع أن هناك عالما سيكون مكانه في المدينة، وهذا العالم سَيَشُدُّ الناس الرحال إليه.. قال النبي ﷺ «يوشك الناس أن يضربوا أكباد الإبل، يطلبون العلم فلا يجدون أحدا أفضل من عالم المدينة» اهـ.

قلت: انظر أربعة أسطر بصيغة الجزم مقدمة لحديث غير صحيح، في أمر غيبي والحديث متنه سطر.

التخريج

الحديث أخرجه الترمذي (٤٦/٥ ـ شاكر) ح(٢٦٨٠)، والنسائي في «السنن الكبرى» (٤٨٩/٢) ح(٤٢٩١)، والحاكم (٩١/١)، وأحمد (٢٩٩/٢) ح(٧٩٩٧).

وقال الترمذي «هو حديث ابن عيينة».

قلت: فكلهم رووه من طريق ابن عيينة عن ابن

جريج عن أبي الزبير عن أبي صالح عن أبي هريرة مرفوعًا.

التحقيق

قلت: هذا الحديث غريب غرابة مطلقة؛ فلم يرو هذا الحديث إلا أبو هريرة، ولم يروه عن أبي هريرة إلا أبو صالح، ولم يروه عن أبي صالح إلا أبو الزبير، ولم يروه عن أبي الزبير إلا ابن جريج تفرد به ابن عيينة.

ولم يخرج البخاري ولا مسلم من هذا الطريق حديثا واحدا، بل وأصحاب السنن لم يخرج أحد منهم من هذا الطريق إلا الترمذي والنسائي هذا الحديث فقط وانظر «تحفة الأشراف» (٩/٤٤٥) ح(١٢٨٧٧).

قلت: وفي الحديث علتان:

الأولى: ابن جريج: أورده الحافظ ابن حجر في «طبقات المدلسين» المرتبة الثالثة رقم (١٧) قال: «عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج المكي، وصفه النسائي وغيره بالتدليس، قال الدارقطنيُّ: شرُّ التدليس ابن جريج فإنه قبيح التدليس، لا يدلس إلا فيما سمعه من مجروح» اهـ.

حكم روايته عدم القبول لأنه عنعن.

الثانية: أبو الزبير: أورده الحافظ في «طبقات المدلسين» المرتبة الثالثة رقم (٣٥) قال «محمد بن مسلم بن تدرس المكي أبو الزبير، من التابعين، مشهور بالتدليس، وقد وصفه النسائي وغيره بالتدليس» اهـ.

قلت: حكم روايته عدم القبول لأنه عنعن.

وبهذا يكون الحديث غير صحيح، والسند واه لما فيه من تدليس شديد ومركب.

«إرداف آخر غير صحيح»

وهذا الحديث غير الصحيح الذي أنزله ذلك الخطيب على مالك رحمه الله أردفه بحديث آخر واه أنزله على الشافعي بصيغة الجزم، بلا تخريج ولا تحقيق؛ حيث قال هذا الخطيب في خطبته المسموعه والمقروءة:

«قال الإمام الشافعي؛ وهو تلميذ الإمام مالك. إذا ذكر العلماء فإن النجم مالك. الشافعي الذي تنبَّأ له الرسول وقال: «عالم قريش يملأ طباق الأرض علما».

التحقيق

هذا الحديث أورده الإمام الشوكاني في «الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة» ص(٤٢٠) باب «المناقب» ح(١٨٦) وقال:

حديث: «عالم قريش يملأ الأرض علما، يعني: الشافعي»، هو موضوع. قاله الصغاني.

قلت: وأقرَّه الشوكاني، وأقرَّه أيضا عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني رحمه الله وقال في تحقيقه للفوائد حول هذا الحديث:

«تفرد به مروان بن سالم عن الأحوص بن حكيم عن خالد بن معدان هذا هو الصواب، ومروان هالك رمى بالوضع».

قلت: ومروان بن سالم هو الجزري، حتى لا يخلط بينه وبين مروان بن سالم المقفع، وهذا أيضا من أهمية علم المتفق والمفترق الذي بيَّناه آنفا.

ومروان بن سالم الجزري الذي تفرد بهذا الحديث أورده الإمام الذهبي في «الميزان» (٤/٩٠/٨٤٢٥) قال أبو عروبة الحراني: يضع الحديث، وقال الدارقطنيُّ: متروك، وقال البخاري ومسلم وأبو حاتم: منكر الحديث، وقال النسائي: متروك.

وبنفس طريق هذا الحديث الذي بيَّنه المعلمي اليماني أورد الإمام الذهبي حديثا تالفا لمروان بن سالم، وهو: «يكون في أمتي رجل يقال له وهب يهب الله له الحكمة، ورجل يقال له غيلان هو أضر على أمتي من إبليس».

قلت: فهذه طريقته في وضع أحاديث للرجال.

والشافعي رحمه الله لا يرضى لنفسه هذا الذي لم يصح عن النبي ﷺ، كيف والشافعي يقول: «إذا صح الحديث فهو مذهبي».

أورده النووي في «المجموع (١/٦٣)، والشيخ صالح الفلاني في «إيقاظ الهمم» ص(١٠٧).

قلت: فليتأس دعاة السنة بما أورده الإمام الذهبي في «الميزان» (٤/٩٧) في ترجمة مسروح أبي شهاب، نقلا عن ابن أبي حاتم قال: «سألت أبي عن مسروح، وعرضت عليه بعض حديثه فقال: «يحتاج إلى التوبة من حديث باطل رواه عن الثوري».

قال الذهبي «إي والله هذا هو الحق، إن كل من روى حديثا يعلم أنه غير صحيح فعليه التوبة أو يهتكه» اهـ.

قلت: هذه هي القصة المكذوبة المفتراة على الإمام مالك، التي أوردها هذا الخطيب في خطبته وكتابه، وهذه هي الأحاديث التي أردف القصة بها وهي غير صحيحة، وحاول هذا الخطيب إنزالها على الإمامين مالك والشافعي، قدمناها في بحوث علمية حديثية، سائلين الله عز وجل التوفيق لتحقيق الغاية من سلسلة «تحذير الداعية من القصص الواهية».

هذا ما وفقني الله إليه وهو وحده من وراء القصد.

أخي القارئ

صحح أحاديثك

«الأذكار بين الجنون والاستهتار»

لقد نشرت مجلة الأزهر الشريف في الجزء الرابع السنة (٧٦) في الصفحة الحادية والثلاثين من بعد المائة السادسة في عدد شهر ربيع الآخر ١٤٢٤هـ- يونيو ٢٠٠٣م لأحد المشايخ تحت عنوان «حلقات الذكر مناقشات وحوارات» ما نصه:

«والذي أحب أن أركز عليه أن أنبه المنكرين لمجالس الذكر المعهودة المعروفة عند جماعات الصوفية بذكر اسم من أسمائه تعالى يؤدونه بصوت وهم وقوف يتمايلون... قد يطول المجلس وقد يتهتك الذاكرون».

قلت: ونحن لا يهمنا اسم الشيخ- عفا الله عنا وعنه- ولكن يهمنا سنة النبي ﷺ، حيث جاء بدليل على هذه العبادة نسبه إلى النبي ﷺ في حديث لأبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «أكثر من ذكر الله حتى يقولوا: مجنون».

وعزاه إلى أحمد (٣/٦٨)، وابن حبان (٣/٩٩)، والحاكم (١/٧٧).

قلت: وهذا عند علماء الصنعة الحديثية يُعْرَف بالتخريج يستطيع طالب العلم المبتدئ أن يفعله عن طريق الفهارس التي انتشرت، وهو ما يسمى التخريج بمطلع الحديث بفهارس أحمد وابن حبان والحاكم.

ولكن أين التحقيق للوقوف على درجة الحديث من حيث القبول والرد؟! وهو ثمرة علم المصطلح، كما بيّن ذلك السيوطي في «ألفيته».

علم الحديث ذو قوانين تحد
يُدْرَى بها أحوال متن وسند
فذانك الموضوع والمقصود
أن يُعْرف المقبول والمردود

قلت: وسنبين درجة الحديث «حديث الجنون» الذي استخدمه الشيخ لتفسير حديث آخر منسوب إلى النبي ﷺ؛ ألا وهو حديث «الاستهتار»، وهو حديث أخرجه الترمذي (٥/٥٣٩) (ح١٢٩) من حديث أبي هريرة قال: قال رسول اللّه ﷺ: «سبق المفردون». قالوا: وما المفردون يا رسول الله؟ قال: «المستهترون في ذكر الله، يضع الذكر عنهم أثقالهم، فيأتون يوم القيامة خفافًا». قلت: وركَّز الشيخ في الحديث الذي أخرجه الترمذي على شطر «الاستهتار»، حيث قال:

وفي الترمذي ولفظه: يا رسول الله، وما المفردون؟ قال: المُسْتَهْتَرُون بذكر الله يضع الذكر عنهم أثقالهم، يأتون يوم القيامة كذلك». اهـ

قلت: ثم يفسر الشيخ حديث «الاستهتار» بحديث «الجنون»، يظهر ذلك من قوله: «ولا تزعجك كلمة المستهترين، فالذي أفهمه منها في ضوء الحديث قبله: «حتى يقولوا: مجنون» إنها تعني الذي لا يبالي بهيئة رضى الناس عنها أم سخطوا. قال صاحبي: جزاك الله خيرًا، ما كنت أحسب الأمر كذلك».

قلت: فيردُّ الشيخ على صاحبه هذا قائلا: «لا عليك، لكن الذي يفزعني أن أناسًا يلوون عنق النصوص لتوافق هواهم، أو هوى من يتبعونهم».

قلت: وإن تعجب فعجب قولهم: «إن أناسًا يَلْوُون عنق النصوص».

أيُّ نصوص؟! هل الأحاديث المنكرة نصوص؟!

أولا: التحقيق لحديث «الجنون»!!

أولاً: حديث: «أكثِرْ من ذكر الله حتى يقولوا: مجنون».

أخرجه الحاكم (١/٤٩٩)، وأحمد (٣/٦٨) عن دراج أبي السمح عن أبي الهيثم عن أبي سعيد

الخدري».

وعلتـه: دراج أبو السمح. أورده الإمام الذهبي في «ميزان الاعتدال» (٢٦٦٧/٢٤/٢) قال: دراج أبو السمح المصري صاحب أبي الهيثم العُتْواري.

١- قال أحمد: أحاديثه مناكير.

٢- وقال ابن يونس: كان يقص بمصر.

٣- وقال الرازي: ما هو ثقة ولا كرامة.

٤- وقال الدارقطني: ضعيف. وقال مرة: متروك.

٥- وقال النسائي: منكر الحديث.

قلت: وأورد له الإمام الذهبي هذا الحديث وجعله من مناكيره.

ثانيا: التحقيق لحديث الاستهتار:

الحديث أخرجه الترمذي- كما بيَّنا آنفًا- (ح٣٥٩٦) من طريق عمر بن راشد عن يحيى بن أبي كثير، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة مرفوعًا.

قلت: والحديث غريب عن يحيى بن أبي كثير، انفرد بهذا اللفظ عنه عمر بن راشد، أورده أيضًا الإمام الذهبي في «ميزان الاعتدال» (٦١٠١/١٩٣/٣) وقال: عمر بن راشد اليمامي عن يحيى بن أبي كثير: ضعفوه.

١- روى عباس عن يحيى: ضعيف، وقال مرة: ليس بشيء.

٢- وقال أحمد: أحاديثه عن يحيى مناكير.

٣- وقال الجوزجاني: سألت أحمد عن عمر بن راشد، فقال: لا يساوي حديثه شيئًا.

٤- وقال النسائي: ليس بثقة.

٥- وقال البخاري: مضطرب ليس بالقائم.

٦- وقال الدولابي: عمر بن راشد يمامي ليس بثقة. اهـ.

قلت: ثم أورد له الذهبي هذا الحديث وجعله من مناكيره.

أورده الإمام ابن حبان في «المجروحين» (٨٣/٢) وقال: «عمر بن راشد اليمامي، يروي عن يحيى بن أبي كثير... كان ممن يروي الموضوعات عن ثقات أئمة. لا يحل ذكره في الكتب إلا على سبيل القدح فيه، ولا كتابة حديثه إلا على جهة التعجب».

ثم أخرج ابن حبان عن يحيى بن معين قال عمر بن راشد: ليس بشيء». اهـ.

وعلة أخرى في السند: يحيى بن أبي كثير مدلس، وقد عنعن.

والحديث منكر كما قال أحمد والذهبي، حيث قال أحمد: أحاديث عمر بن راشد مناكير. وأورد له الذهبي هذا الحديث من مناكيره.

والمنكر عند علماء الصنعة الحديثية: «ما رواه الضعيف مخالفًا لما رواه الثقة».

كذا قال الحافظ في «شرح النخبة» النوع (١٣) (ص٩٨).

ثالثا: مخالفة الضعيف لما رواه الثقة

أ- «الضعيف» ما أخرجه الترمذي من طريق: عمر بن راشد عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي هريرة مرفوعًا.

«سبق المفردون» قالوا: وما المفردون يا رسول الله؟ قال: «المستهترون في ذكر الله...».

الصحيح

ب- «الثقة».

أخرج الإمام مسلم في «صحيحه» (ح٢٦٧٦) كتاب «الذكر والدعاء» (ح٤) من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «سبق المفردون». قالوا: وما المفردون يا رسول الله؟ قال: «الذاكرون الله كثيرًا والذاكرات». اهـ.

قلت: انظر إلى الصحيح في مطلق الذكر لتعريف المفردون، وانظر إلى الحديث المنكر في تعريف المفردون بأنهم المستهترون، أي: الذي يستهتر بهم الناس لكثرة ذكرهم لله تعالى، ويفسر المستهترين بحديث الجنون المنكر هذا الذكر الذي يفسرونه بالأحاديث المنكرة. حديث منكر يفسر به حديث منكر، هذا هو المنكر المركب الذي جعل الأذكار بين الجنون والاستهتار، وأصبحت البدعة سنة لعدم الدراية بالصناعة الحديثية.

قلت: وبعد أن أعددت هذا الردّ ترددت في نشره في سلسلة «صحح أحاديثك» التي تنشرها مجلة التوحيد الغرّاء، وقلت: لعل الكاتب يرجع يومًا ويعلم أن هذه الأحاديث التي بنى عليها بدعة التمايل عند ذكر الأسماء الحسنى أحاديث منكرة واحتفظت بهذا البحث لنفسي.

ولكن وجدت أمرًا عجيبًا وغريبًا؛ وهو أن الكاتب عاد في الشهر التالي شهر جمادى

الأولى ١٤٢٤هـ ليدافع بنفس الأحاديث عن بدعة التمايل في الذكر بمجلة الأزهر التي لها منّا كل احترام وتقدير، وذلك في الجزء (٥) السنة (٧٦) (ص٧٠٥) تحت عنوان: «عناد المنكرين وإنكار المعاندين» حيث قال: «وأخيرًا لماذا يعميك التعصب فلا ترى الحق؟ كيف ترفض حديثًا ذكرته في المقال السابق «أكثروا من ذكر الله حتى يقولوا: مجنون»، وحديث قوله ﷺ: «سبق المفردون»، ولما سئل عنهم في لفظ الترمذي: وما المفردون؟ قال: «المستهترون بالذكر يضع الذكر عنهم أثقالهم» ذلك ذكرته لك سابقًا، فكيف بالله عليك ترفض أحاديث للنبي ﷺ صحيحة مذكورة بسندها؟!».

قلت: وإن تعجب فعجب أن يعتقد الكاتب أن مجرد ذكر السند يلزمه الصحة، والسند عند علماء الصنعة الحديثية: سلسلة الرجال الموصلة للمتن، وبالبحث في الإسناد يعرف المقبول من المردود- كما بينا آنفًا- وأثبتنا أن حديث «الذكر والجنون» وحديث «الذكر والاستهتار» حديثان منكران، فكيف يعتقد الصحة في أحاديث منكرة بيّنا عللها كما هو ثابت عند علماء الصنعة؟!

«البدائل الصحيحة»

ولقد بيّن الإمام القرطبي رحمه الله في هذه البدعة- بدعة التمايل- في ذكر أسماء الله الحسنى، ثم أتى ببدائل صحيحة تبين حال العارفين بالله، حيث قال في تفسيره «الجامع لأحكام القرآن» (٢٨٩١/٤- ط دار الغد) عند تفسير قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [الأنفال: ٢]، وفيه ثلاث مسائل... ثم قال الثانية:- وصف الله- تعالى- المؤمنين في هذه الآية بالخوف والوجل عند ذكره، وذلك لقوة إيمانهم ومراعاتهم لربهم وكأنهم بين يديه، فهذه حال العارفين بالله، الخائفين من سطوته وعقوبته، لا كما يفعله جهال العوام والمبتدعة الطغام من الزعيق والزئير ومن النهاق الذي يشبه نهاق الحمير، فيقال لمن تعاطى ذلك وزعم أن ذلك وَجْد وخشوع: لم تبلغ أن تساوي حال الرسول ﷺ ولا حال أصحابه في المعرفة بالله، والخوف منه، والتعظيم لجلاله، ومع ذلك فكانت حالهم عند المواعظ الفهم عن الله والبكاء خوفًا من الله.

فهذا وصف حالهم، وحكاية مقالهم، ومن لم يكن كذلك فليس على هديهم ولا على طريقتهم، فمن كان مستنًا فليستنّ، ومن تعاطى أحوال المجانين والجنون فهو من أخسّهم حالاً، والجنون فنون.

روى مسلم عن أنس بن مالك أن الناس سألوا النبي ﷺ حتى أحْفَوْه في المسألة، فخرج ذات يوم فصعد المنبر، فقال: «سلوني، لا تسألوني عن شيء إلا بينته لكم مادمت في مقامي هذا».

فلما سمع ذلك القوم أَرَمُّوا ورهبوا أن يكون بين يدي أمر قد حضر. قال أنس: فجعلت ألتفت يمينًا وشمالاً، فإذا كل إنسان لافٌ رأسه في ثوبه يبكي. وذكر الحديث.

وروى الترمذي وصححه عن العرباض بن سارية قال: وعظنا رسول الله ﷺ موعظة بليغة ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب.... الحديث. ولم يقل نعقنا ولا رقصنا ولا زفنّا ولا قمنا. انتهى كلام القرطبي.

فيا أخي كاتب المقال، لماذا تتعجل وترمي مخالفك بالعمى وتقول له: «لماذا يعميك التعصب فلا ترى الحق؟ كيف ترفض حديثًا ذكرته لك سابقًا «أكثروا من ذكر الله حتى يقولوا: مجنون»، هل تقول إن القرطبي أعماه التعصب ولا يرى الحق؟ وقد قال القرطبي: «ومن تعاطى أحوال المجانين والجنون فهو من أخسهم حالا».

وبيّن لك أنك لست كأصحاب النبي ﷺ، ولست في حال النبي ﷺ وحال أصحابه في المعرفة بالله، ولم يكونوا يتمايلون ولا يصنعون من الجنون أو التمايل شيئًا، فكيف تقول في كلام القرطبي ردًا على أحاديثك التي ثبت بالتحقيق أنها أحاديث مناكير؟!

الفتاوى

يجيب عليها
لجنة الفتوى بالمركز العام

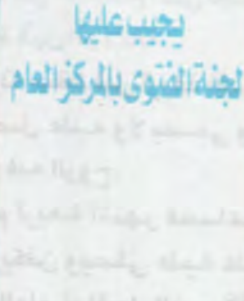

حكم تقبيل الرجل خد أخيه

يسأل سائل: ما حكم تقبيل الرجل عند السلام في الخدين؟

الجواب: قال الحافظ في الفتح ١٠/٤٢٧: يجوز تقبيل الولد الصغير في كل عضو منه وكذا الكبير عند أكثر العلماء ما لم يكن عورة، وتقدم في مناقب فاطمة عليها السلام أنه ﷺ كان يقبلها وكذا كان أبو بكر يقبل ابنة عائشة في خدها.

وقد ذكر الترمذي في حديث صفوان بن عسال أن يهوديين أتيا النبي ﷺ فسألاه عن تسع آيات ... الحديث. وفي آخره فقبلا يده ورجله، قال الترمذي حسن صحيح.. وقال: ومن حديث بريدة في قصة الأعرابي والشجرة، فقال يا رسول الله ائذن لي أن أقبل رأسك ورجليك فأذن له، وأخرج البخاري في الأدب المفرد من رواية عبد الرحمن بن رَزين قال: أخرج لنا سلمه بن الأكوع كفًا له ضخمه كأنها كف بعير فقمنا إليها فقبلناها، وعن ثابت أنه قبَّل يد أنس. وقبل عليٌّ يد العباس ورجله. انتهى. وفي عون المعبود شرح سنن أبي داود ١٤/٩١ باب في قبلة الجسد أن أسيدًا احتضن النبي ﷺ واعتنقه وأخذه في حضنه وهو دون الإبط إلى الكشح وجعل يقبل كشحه وهو ما بين الخاصرة إلى الضلع الأقصر من أضلاع الجنب. انتهى.

قال أبو الطيب في الصفحة التي قبلها: وقال الأبهري إنما كرهها مالك - أي تقبيل اليد - إذا كانت على وجه التكبر والتعظيم لمن فُعل ذلك به، فأما إذا قبّل إنسان يد إنسان أو وجهه أو شيئًا من بدنه ما لم يكن عورة على وجه القربة إلى الله لدينه أو لعلمه أو لشرفه فإن ذلك جائز.. وما كان من ذلك تعظيما لدنيا أو لسلطان أو لشبهة وجود التكبر فلا يجوز. اهـ.

وعليه فتقبيل الخدين عند السلام إن كان من عادات بعض الناس وخالصا من المحاذير التي أوردها العلماء

فلا حرج في ذلك. والله أعلم.

التصفيق داخل المسجد وخارجه

ويسأل سائل: هل يجوز التصفيق داخل المسجد تكريما للمعلم أو للطفل عندما يجيب سؤالا؟

الجواب: لا يجوز التصفيق إلا للنساء في الصلاة إذا حدث سهو للإمام أو نحو ذلك، لأن تصفيق الرجال من عمل الجاهلية كما قال ربنا سبحانه وتعالى في سورة الأنفال: ﴿ وَمَا كَانَ صَلاَتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلاَّ مُكَاءً وَتَصْدِيَةً ﴾ [الأنفال:٣٥]، وقد فسر أهل العلم المكاء بالتصفيق، والتصدية بالصفير، والمعنى أن الله تعالى استنكر على من فعل ذلك في المسجد وسمع للنساء بذلك تذكيرًا للإمام.

قال ﷺ : «من نابه شيء في صلاته فليسبح الرجال وتصفق النساء» [أخرجه البخاري ١٦٥/١].

أما التصفيق خارج الصلاة: قال العلماء : التصفيق في غير الصلاة إذا كان لحاجة معتبرة كالاستئذان والتنبيه أو ملاعبة النساء لأطفالهن جائز، أما إذا كان لغير حاجة فقد صرح بعض الفقهاء بحرمته وبعضهم بكراهته، وقالوا: إنه من اللهو الباطل أو من التشبه بعادة أهل الجاهلية عند البيت الحرام، أو من التشبه بالنساء لما جاء في الحديث: «التسبيح للرجال، والتصفيق للنساء».متفق عليه. والله أعلم.

قراءة الأذكار على الممتلكات

يسأل سائل: لي مزرعة دواجن يقل إنتاجها من البيض في أحيان كثيرة بدون أسباب فهل يجوز قراءة بعض الأذكار المأثورة والآيات عليها؟ ثم هل يجوز (تبخيرها)؟

الجواب: ثبت أن رسول الله ﷺ قال: «اللهم بارك لنا في ثمرنا وبارك لنا في مدينتنا وبارك لنا في صاعنا وبارك لنا في مُدِّنا» [أخرجه مسلم].

وقال تعالى: ﴿ كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ [البقرة:١٧٢]، وقال: ﴿ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ [إبراهيم:٧].

فلو دعا الإنسان ربه بما تيسر أن يبارك له فيما رزقه وأن يسبغ عليه النعمة وأن يقيها الله شر كل حاسد وشر العين، فإن الله تعالى يستجيب دعوة الداعين المضطرين.

أما التبخير بدخان النار بعد وضع أشياء على النار لتحدث دخانا يمر على المزرعة، فإنه عمل باطل لأنه لم يرد به شرع بل هو من الاستعانة والاستغاثة بالمخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الخالق سبحانه وهذا من الشرك ومن أعمال الجاهلية. والله المستعان.

أحكام السقط

ويسأل سائل: ما هي الأحكام التي تجرى على السقط إذا سقط قبل الولادة؟

الجواب: السقط إذا سقط قبل أربعة أشهر فإنه لا يُغسل ولا يصل عليه ولا يسمى ولا يعق عنه لأنه لم ينفخ فيه الروح.

أما إذا سقط وأتم أربعة أشهر فصاعدًا فينبغي أن يغسل ويكفن ويصلى عليه على الصحيح من أقوال العلماء لقول النبي ﷺ: «السقط يصلَّى عليه» كما يسن أن يعق عنه ويُسمى مثل المولود الكبير. [أخرجه أبو داود والترمذي]

ومن صبرت على سقطها واحتسبته عند الله دخلت به الجنة لقول النبي ﷺ: «والذي

نفسي بيده؛ إن السقط ليجر أمه بسَرَرِه (الحبل السري) إلى الجنة إذا احتسبته» [صحيح سنن ابن ماجه ح١٣١٥]

أما إذا ماتت المرأة وهي حبلى أو وهي تلد فقد عدها النبي ﷺ من الشهداء فقال: «الشهداء سبع سوى القتل في سبيل الله... إلى أن قال: والمرأة تموت بِجُمْعٍ شهيد» [ابن حبان في صحيحه وقال النووي: حديث صحيح]. يعني ماتت مع شيء مجموع فيها..

زكاة العسل

ويسأل سائل: نرجو معرفة زكاة العسل والمنتجات الحيوانية؟

الجواب: ذهب المالكية والشافعية إلى أنه ليس في عسل النحل زكاة مهما بلغت كميته ما دامت أنها للأكل والهدايا والمعيشة ونحو ذلك، أما إذا أعد ذلك العسل للتجارة والبيع فإن قيمته إذا حال عليها الحول وبلغت نصابا ففيها من الزكاة ربع العشر، بينما ذهب الحنفية والحنابلة إلى أن العسل تؤخذ منه الزكاة لحديث أبي سيارة المتعي قال: قلت: يا رسول الله، إن لي نحلاً، قال: «أدّ العُشر». حسنه الألباني، وأخذ عمر من العسل العشر.

أما زكاة المنتجات الحيوانية ففيها تفصيل، فإذا كانت الحيوانات من الإبل والبقر والغنم سائمة أي ترعى الحشائش ونحوها وبلغت نصابا وهو في الإبل خمس، وفي البقر ثلاثون وفي الغنم أربعون ففي هذه الحالة تجب فيها الزكاة عند رأس الحول لقول النبي ﷺ: «في كل إبل سائمة في كل أربعين ابنة لبون...» [أخرجه أحمد وأبو داود]

أما إذا كانت معلوفة أو عوامل يعني تعمل في الخدمة والركوب فالجمهور أنها لا تجب فيها الزكاة لحديث عليٍ رضي الله عنه: «ليس في العواهل صدقة». لكن المعلوفة إذا أعدت للتجارة والبيع فإن أثمانها إذا بلغت النصاب وحال عليها الحول الذي يبدأ من ابتداء نية التجارة وليس من ابتداء البيع وقبض المال، وإن كان اشترى بالمال تلك البهائم للتجارة بنى على حول النقود التي اشتراها بها وتزكى زكاة عروض التجارة. أما المنتجات الحيوانية كاللبن والسمن والجبن والبيض وغيره، لا زكاة فيه إذا كان للأكل ، أما إذا جُعل للتجارة فإنه يقوم على رأس كل حول ويخرج عنه الزكاة إذا بلغ النصاب.

عورة المرأة في الصلاة

وتسأل سائلة: هل القدم من العورة التي يجب على المرأة سترها في الصلاة؟

الجواب: على المرأة أن تصلي في ثوب يستر عورتها جميعا لما روته عائشة رضيالله عنها أنها سألت النبي ﷺ: أتصلي المرأة في درع وخمار وليس عليها إزار؟ فقال: «إذا كان الدرع سابغًا يغطي ظهور قدميها» [أخرجه أبو داود].

وصحح الأئمة وقفة على أم سلمة. وعلى ذلك فالمرأة كلها عورة في الصلاة إلا وجهها وكفيها، فإذا وجد عندها أجنبي عنها كابن عمها وابن خالها أو في المسجد الحرام وغيره بحيث يراها الرجال فإنها تسترهما.

وليس شرطا أن تلبس المرأة السراويل في الصلاة أو تلبس الجورب ما دام قميصها ودرعها سابغًا وطويلا يغطي ظهور قدميها، فالعبرة بالستر، وبأي ثياب مباحة يتحقق بها الستر في الصلاة فلا حرج في ذلك.

فتاوى

أجاب عنها: فضيلة الشيخ ابن عثيمين رحمه الله

إلى أين تشد الرحال؟

سئل: ما حكم السفر لزيارة قبر النبي ﷺ؟

أجاب: شد الرحال إلى زيارة القبور أيًا كانت هذه القبور لا يجوز؛ لأن النبي ﷺ يقول: «لا تُشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى».

والمقصود بهذا أنه لا تشد الرحال إلى أي مكان في الأرض لقصد العبادة بهذا الشد، لأن الأمكنة التي تخصص بشد الرحال هي المساجد الثلاثة فقط، وما عداها من الأمكنة لا تشد إليها الرحال، فقبر النبي ﷺ لا تشد الرحال إليه وإنما تشد الرحال إلى مسجده ﷺ، فإذا وصل المسجد فإن الرجال يسن لهم زيارة قبر النبي ﷺ، وأما النساء فلا يسن لهن زيارة قبر النبي ﷺ. والله الموفق.

معنى من سن سنة حسنة

سئل: كيف نرد على أهل البدع الذين يستدلون على بدعهم بحديث: «من سن في الإسلام سنة حسنة...» إلخ؟

أجاب: نردُّ على هؤلاء فنقول: إن الذي قال: «من سنَّ في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها». هو الذي قال: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار».

وعلى هذا يكون قوله ﷺ: «من سن في الإسلام سنة حسنة» منزلا على سبب هذا الحديث، وهو أن النبي ﷺ حثَّ على الصدقة للقوم الذين جاءوا من مُضر في حاجة وفاقة، فجاء رجل بصرّة من فضة فوضعها بين يدي النبي ﷺ فتتابع الناس بعده يتصدقون، فقال النبي ﷺ: «من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة». وإذا عرفنا سبب الحديث ونزَّلنا المعنى عليه تبين أن المراد بسن السنة سن العمل بها، وليس سن التشريع؛ لأن التشريع لا يكون إلا لله ورسوله، وأن معنى الحديث من سنة سنة أي: ابتدأ العمل بها واقتدى الناس به فيها، كان له أجرها وأجر من عمل بها، هذا هو معنى الحديث المتعين، أو يحمل على أن المراد: «من سنَّ سنة حسنة» من فعل وسيلة يُتوصل بها إلى العبادة، واقتدى الناس به فيها، كتأليف الكتب، وتبويب العلم، وبناء المدارس، وما أشبه هذا مما يكون وسيلة لأمر مطلوب شرعًا، فإذا ابتدأ الإنسان هذه الوسيلة المؤدية للمطلوب الشرعي وهي لم يُنْهَ عنها بعينها، كان داخلاً في هذا الحديث.

ولو كان معنى الحديث أن الإنسان له أن يشرَع ما شاء، لكان الدين الإسلامي لم يكمل في حياة رسول الله ﷺ، ولكان لكل أمة شرعة ومنهاجًا، وإذا ظن هذا الذي فعل هذه البدعة أنها حسنة فظنه خاطئ؛ لأن هذا الظن يكذبه قول الرسول عليه الصلاة والسلام: «كل بدعة ضلالة».

سجود الشكر

سُئل: متى يُسجد لله سجود شكر؟ وما صفته؟ وهل يشترط له وضوء؟

أجاب: يكون سجود الشكر عند مصيبة اندفعت، أو لنعمة تهيأت للإنسان، وهو كسجود التلاوة خارج الصلاة؛ فبعض العلماء يرى له الوضوء والتكبير، وبعضهم يرى التكبيرة الأولى فقط ثم يخرّ ساجدًا ويدعو بعد قوله: «سبحان ربي الأعلى».

ما يشرع عند البناء بالزوجة

سئل: ما حكم صلاة الركعتين ليلة الزواج عند الدخول على الزوجة؟

أجاب: الركعتان عند الدخول على الزوجة في أول ليلة فعلها بعض الصحابة، ولا أعرف في هذا سنة صحيحة عن رسول الله ﷺ، ولكن المشروع أن يأخذ بناصية المرأة ويسأل الله خيرها، وخير ما جُبلت عليه، ويستعيذ بالله من

شرها، وشر ما جُبلت عليه، وإذا كان يخشى في هذه الحال أن تنفر منه المرأة، فليمسك بناصيتها كأنه يريد أن يدنو منها، ويدعو بهذا الدعاء سرًا بحيث لا تسمعه؛ لأن بعض النساء قد يخيل لها إذا قال: أعوذ بك من شرها وشر ما جبلت عليه، فتقول: هل فيّ شر؟

مسارعة الشباب إلى الحج

سُئل: كثيرًا ما نلاحظ بعضًا من المسلمين وخاصة من الشباب يتساهل في أداء فريضة الحج، ويسوف في ذلك، وأحيانًا يعتذر بمشاغل، فما حكم ذلك؟ وبماذا تنصحون هذا؟ وأحيانًا نلاحظ بعضًا من الآباء يمنعون أبناءهم من أداء فريضة الحج بحجة الخوف عليهم، أو أنهم صغار، مع أن شروط الحج متوفرة فيهم، فما حكم فعل الآباء هذا؟

أجاب: من المعلوم أن الحج أحد أركان الإسلام ومبانيه العظام، وأنه لا يتم إسلام الشخص حتى يحج، إذا تمت في حقه شروط الوجوب، ولا يحل لمن تمت شروط الوجوب في حقه أن يؤخر الحج؛ لأن أوامر الله تعالى، ورسوله عليه الصلاة والسلام على الفور، ولأن الإنسان لا يدري ما يعرض له، فربما يفتقر، أو يمرض، أو يموت.

ولا يحل للآباء والأمهات أن يمنعوا أبناءهم من الحج إذا تمت شروط الوجوب في حقهم، وكانوا مع رفقة مؤتمنين في دينهم وأخلاقهم.

ولا يجوز للأبناء أن يطيعوا آباءهم، أو أمهاتهم في ترك الحج مع وجوبه؛ لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، اللهم إلا أن يذكر الآباء أو الأمهات مبررًا شرعيًا لمنعهم، فحينئذ يلزم الأبناء تأخير الحج إلى أن يزول هذا المبرر للتأخير.

أسأل الله تعالى أن يوفق الجميع لما فيه الخير والصلاح.

من بدع المآتم

سُئل: هناك عادة في بعض البلاد، وهي أنه إذا مات الميت رفعوا أصواتهم بالقرآن ومن خلال المسجلات في بيت الميت، فما حكم هذا العمل؟

أجاب: الجواب أن نقول: إن هذا العمل بدعة بلا شك، فإنه لم يكن في عهد النبي ﷺ ولا عهد أصحابه، والقرآن إنما تُخفف به الأحزان إذا قرأه الإنسان بنفسه بينه وبين نفسه، لا إذا أعلن به على مكبرات الصوت التي يسمعها كل إنسان حتى اللاهون في لهوهم، حتى الذين يستمعون المعازف وآلات اللهو تجده يسمع القرآن، ويسمع هذه الآلات، وكأنما يلغون في هذا القرآن ويستهزئون به.

ثم إن اجتماع أهل الميت لاستقبال المعزين هو أيضًا من الأمور التي لم تكن معروفة في عهد النبي ﷺ، حتى إن بعض العلماء قال: إنه بدعة، ولهذا لا نرى أن أهل الميت يجتمعون لتلقي العزاء، بل يغلقون أبوابهم، وإذا قابلهم أحد في السوق، أو جاء أحد من معارفهم بدون أن يعدوا لهذا اللقاء عدته، ودون أن يفتحوا الباب لكل أحد، فإن هذا لا بأس به، وأما اجتماعهم وفتح الأبواب لاستقبال الناس فإن هذا شيء لم يكن معروفًا في عهد النبي ﷺ، والنياحة كما هو معروف من كبائر الذنوب؛ لأن النبي ﷺ لعن النائحة والمستمعة، وقال: «النائحة إذا لم تتب قبل موتها تُقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران، ودرع من جرب». نسأل الله العافية.

فنصيحتي لإخواني المسلمين أن يتركوا هذه الأمور المحدثة؛ لأن ذلك أولى بهم عند الله، وهو أولى بالنسبة للميت أيضًا؛ لأن النبي ﷺ أخبر أن الميت يُعذَّب ببكاء أهله عليه، وبنياحة أهله عليه، ومعنى يُعذَّب: يتألم من هذا البكاء، وهذه النياحة، وإن كان لا يعاقب عقوبة الفاعل؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ [الأنعام: ١٦٤]، ولا يلزم من العذاب أن يكون عقوبة، ألا ترى إلى قول النبي ﷺ: «السفر قطعة من العذاب». وليس السفر عقوبة، بل إن الألم والهمّ وما أشبه ذلك يعد عذابًا، ومن كلمات الناس العابرة قول: عذبني ضميري. إذا اعتراه الهمُّ والغمُّ الشديد.

والحاصل أنني أنصح إخواني عن مثل هذه العادات التي لا تزيدهم من الله إلا بعدًا، ولا تزيد موتاهم إلا عذابًا.

مفهوم الاتباع

بقلم: محمد عاطف التاجوري

إن مفهوم الاتباع عند كثير من الناس قد انحصر في حدود ضيقة جدًا، فلا يكادون يفكرون في الاتباع إلا فيما يخص العبادات فقط مع ما يشوبها من بدع ومخالفات، أما عدا العبادات مثل العقيدة- مثلاً- فقد غفل الناس عن الاتباع فيها، وأوقعتهم هذه الغفلة في كثير من البدع الشركية المنتشرة، وغير ذلك من المعاملات الربوية والحكم والقضاء بغير شرع الله وتعطيل الجهاد في سبيل الله.

فما هو إذن الاتباع الذي أمر به ربنا تبارك وتعالى؟

في موسوعة «نضرة النعيم»: قال الإمام أحمد رحمه الله تعالى: هو أن يتبع الرجل ما جاء عن النبي ﷺ وعن أصحابه، ثم هو من بعد في التابعين مخير.

الاتباع دليل حب الله تعالى:

يقول الله عز وجل: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٣١) قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ٣١، ٣٢].

وفي تفسير الطبري: قال أبو جعفر: فإذا كان الأمر على ما وصفنا، فتأويل الآية: قل يا محمد، للفرق من نصارى نجران إن كنتم كما تزعمون أنكم تحبون الله، وأنكم تعظمون المسيح وتقولون فيه ما تقولون، حبًا منكم ربكم، فحققوا قولكم الذي تقولونه إن كنتم صادقين، باتباعكم إياي، فإنكم تعلمون أني لله رسول إليكم، كما كان عيسى رسولاً إلى من أُرسل إليه.

أما ابن كثير فقال في تفسيره: هذه الآية الكريمة حاكمة على كل من ادعى محبة الله وليس هو على الطريقة المحمدية، فإنه كاذب في دعواه في نفس الأمر حتى يتبع الشرع في جميع أقواله وأفعاله، كما ثبت في الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد». ولهذا قال: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ أي: يحصل لكم فوق ما طلبتم من محبتكم إياه وهو محبته إياكم وهو أعظم من الأول كما قال بعض العلماء الحكماء، ليس الشأن أن تُحِب، إنما الشأن أن تُحبَ.

ثم قال تعالى: ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ أي: باتباعكم الرسول ﷺ يحصل لكم هذا من بركة سفارته، ثم قال تعالى آمرًا لكل أحد من خاص وعام: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ أي: تخالفوا عن أمره ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾. فدل على أن مخالفته في الطريقة كفر، والله لا يحب من اتصف بذلك، وإن ادعى وزعم في نفسه أنه محبٌ لله ويتقرب إليه حتى يتابع الرسول النبي الأمي خاتم الرسل ورسول الله إلى جميع الثقلين؛ الجن والإنس،

عمران: ٨١].

وكذلك أيضًا قال السعدي في تفسيره: هذه الآية هي الميزان، التي يعرف بها من أحب الله حقيقة، ومن ادعى ذلك دعوى مجردة، فعلامة محبة الله؛ اتباع محمد ﷺ، الذي جعل متابعته وجميع ما يدعو إليه؛ طريقًا إلى محبته ورضوانه، فلا تُنال محبة الله ورضوانه وتقواه إلا بتصديق ما جاء به الرسول من الكتاب والسنة وامتثال أمرهما واجتناب نهيهما، فمن فعل ذلك، أحبه الله وجازاه جزاء المحبين وغفر له ذنوبه وستر عليه عيوبه فكأنه قيل: وضح ذلك، فما حقيقة اتباع الرسول وصفتها.

فأجاب بقوله: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾ بامتثال الأمر، واجتناب النهي، وتصديق الخبر ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ عن ذلك فهذا هو الكفر، والله لا يحب الكافرين.

وهكذا كان رسول الله ﷺ يعلّم أصحابه كيف يكون الاتّباع، وإن أنبياء الله جميعًا لو كانوا أحياءً في حياة رسول الله ﷺ لما وسعهم إلا اتباعه، فقد روى الإمام أحمد في «مسنده» (٣/٣٨٧)، وحسنه الألباني في المشكاة برقم (١٧٧) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أتى النبي ﷺ بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب فقرأه النبي ﷺ - أي قرئ عليه- فغضب فقال: «أمتهوكون فيها يا ابن الخطاب؟ والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية، لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبوا به، أو بباطل فتصدقوا به، والذي نفسي بيده لو كان موسى حيًا ما وسعه إلا أن يتبعني».

اتباع الأعلم والأحكم

ولقد أمر ربنا تبارك وتعالى رسولنا ﷺ فقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلاَ تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا (١) وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (٢) وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً﴾ [الأحزاب: ١- ٣].

قال ابن كثير في تفسيره: هذا تنبيه بالأعلى على الأدنى، فإنه تعالى إذا كان يأمر عبده ورسوله بهذا فلأن يأتمر من دونه بطريق الأولى والأحرى قوله تعالى: ﴿وَلاَ تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ أي: فهو أحق أن تتبع أوامره وتطيعه، فإنه عليم بعواقب الأمور، حكيم في أقواله وأفعاله. اهـ

فإذا أراد أحد أن يحدد منهجًا ليتبعه فلا شك أنه سيختار الأعلم والأحكم، فمن أعلم وأحكم من الله تعالى؟

ثم يخبرنا الله تعالى أننا في حالة اتباعنا لمنهجه سبحانه وتعالى فإنه سيكفينا ويتولى أمورنا فلا نحتاج لأحد سواه، فلنتوكل على الله ولنتبع كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ وكفى بالله وكيلاً.

صفات المنهج الصواب

روى الإمام أحمد في مسنده (١/٤٣٥)، وصححه الألباني عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: خط لنا رسول الله ﷺ خطًا، ثم قال: «هذا سبيل الله». ثم خط خطوطًا عن يمينه وعن شماله، ثم قال: «هذه سبل»، قال يزيد: متفرقة، «على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه»، ثم قرأ: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام: ١٥٣] .

ومن هنا يمكن أن نقول إن صفات المنهج الحق:

١- أنه طريق واحد فقط لا يتعدد، وليس كما يقول أهل الضلال: الطرق إلى الله بعدد أنفاس الخلائق؟!

٢- الطريق الصواب طريق طويل لأنه كما وصفه عبد الله بن مسعود في حديث آخر موقوف عليه أوله في الدنيا وآخره في الجنة، بينما الطرق الأخرى طرق قصيرة توصل إلى مقصودها الباطل بسرعة.

فلا يستعجل أهل الحق قطف الثمار، وليصبروا فقد لا تكون هذه الثمار إلا في الجنة وهذا استفدناه من تعليقات شيخنا الألباني رحمه الله تعالى على هذا الحديث.

٣- الطريق الحق يتصف بالاستقامة، وهو وصف يصدق على كل ما يتعلق بهذا الطريق، بينما الطرق الأخرى لا تتصف بهذا الوصف. وقد ورد حديث آخر يوضح هذا المعنى أيضًا رواه أحمد والترمذي والحاكم وصححه ووافقه الذهبي وصححه الألباني في المشكاة وفي تعليقه على كتاب السنة عن النواس بن سمعان عن ابن مسعود رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «ضرب الله مثلاً صراطًا مستقيمًا، وعن جنبتي الصراط سوران، فيهما أبواب مفتحة، وعلى الأبواب ستور مرخاة، وعند رأس الصراط داع يقول: استقيموا على الصراط ولا تعوجوا، وفوق ذلك داع يدعو، كلما هم عبد أن يفتح شيئًا من تلك الأبواب، قال: ويحك لا تفتحه، فإنك إن تفتحه تلجه»، ثم فسره فأخبر: أن الصراط هو الإسلام، وأن الأبواب المفتَّحة: محارم الله، وأن الستور المرخاة حدود الله، وأن الداعي على رأس الصراط هو القرآن، وأن الداعي من فوقه واعظ الله في قلب كل مؤمن.

وهذا لفظ المشكاة برقم (١٩١)، وهكذا وعى أصحاب رسول الله ﷺ مفهوم الاتباع، فعندما يتولى أبو بكر الصديق رضي الله عنه الخلافة يعلن ويقول: أيها الناس، إنما أنا متبع ولست بمبتدع.

ويعصم الله تعالى بهذا الاتباع الأمة كلها من الفتنة، فعندما ارتد كثيرٌ من العرب بعد موت رسول الله ﷺ ومنعوا الزكاة وقالوا: كنا نؤديها لرسول الله ﷺ وقد مات رسول الله ﷺ فلن نؤديها الآن، يعلنها أبو بكر الصديق رضي الله عنه مدوية: والذي نفسي بيده لو منعوني عقالاً أو عناقًا كانوا يؤدونه لرسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعه، ويراجعه عمر بن الخطاب رضي الله عنه ويقول: كيف تقاتل من يقول: لا إله إلا الله، فلا يزال أبو بكر الصديق على موقفه متمسكًا بموقف الاتباع، فيقول عمر بن الخطاب: فلما رأيت أن الله تعالى قد شرح صدر أبي بكر لهذا الأمر علمت أنه الحق، فقاتلهم أبو بكر رضي الله عنه قتال البغاة من أهل الإسلام، حتى عادوا إلى الحق.

وعمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول لشريح القاضي: «إن جاءك شيء في كتاب الله فاقض به، ولا يلفتنك عنه الرجال، فإن جاءك ما ليس في كتاب الله فانظر سنة رسول الله ﷺ فاقض بها، فإن جاءك ما ليس في كتاب الله ولم يكن فيه سنة من رسول الله ﷺ، فانظر ما اجتمع عليه الناس فخذ به، فإن جاءك ما ليس في كتاب الله ولم يكن في سنة رسول الله ﷺ، ولم يتكلم فيه أحد قبلك، فاختر أي الأمرين شئت، إن شئت أن تجتهد برأيك، ثم تقدم فتقدم، وإن شئت أن تتأخر فتأخر، ولا أرى التأخر إلا خيرًا لك». رواه النسائي والدارمي.

نسأل الله تعالى أن نكون من المتبعين لكتاب الله تعالى ولسنة رسوله ﷺ، ولسلفنا الكرام. والله المستعان.

إشهار فروع

طبقًا لأحكام القانون ٨٤ لسنة ٢٠٠٢م ولائحته التنفيذية تم إشهار الفروع الآتية:

- **فرع جمعية أنصار السنة المحمدية بديرب نجم- شرقية - مجمع التوحيد الإسلامي.**
- **فرع جمعية أنصار السنة المحمدية بقرية كفر سرنجا- مركز ميت غمر.**
- **فرع جمعية أنصار السنة المحمدية بقرية حلوة- مركز مطاي- محافظة المنيا**
- **فرع جمعية أنصار السنة المحمدية بقرية حسن إبراهيم- بالروبي- مركز سمالوط- المنيا.**

فضائل الكلمات الأربع «سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر»

إعداد

عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على إمام المرسلين، نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين... أما بعد:

فإنّ الله عز وجل قد خصّ أربع كلمات بفضائل عظيمة، وميزات جليلة تدل على عظم شأنهنّ، ورفعة قدرهنّ، وعلو مكانتهنّ، وتميزهنّ على ما سواهنّ من الكلام، وهنّ: «سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر».

ورد في فضلهنّ نصوصٌ كثيرة تدل دلالة قوية على عظم شأن هؤلاء الكلمات وما يترتب على القيام بهنّ من أجور عظيمة وأفضال كريمة وخيرات متوالية في الدنيا والآخرة.

فإليك- أخي المسلم- هذه الفضائل فتأملها بأناة عسى أن يكون فيها تحفيزٌ للهمم، وتنشيطٌ للعزائم، وعونٌ على المحافظة على هؤلاء الكلمات، والله وحده الموفقُ، والمعينُ على كل خير، ولا حول ولا قوة إلا به العلي العظيم.

١- فمنْ فضائل هؤلاء الكلمات: أنهنّ أحبُّ الكلام إلى الله، فقد روى مسلم في صحيحه من حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه قال: قال رسول اللّه صلى الله عليه وسلم: «أحبُّ الكلام إلى الله تعالى أربعٌ، لا يضرك بأيهنّ بدأت: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر». [صحيح مسلم (٢١٣٧)] .ورواه الطيالسي في مسنده (ص١٢٢) بلفظ: «أربع هنّ من أطيب الكلام، وهنّ من القرآن، لا يضرك بأيّهنّ بدأت: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر».

٢- ومنْ فضائلهنّ: أن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر أنهنّ أحبُّ إليه مما طللعت عليه الشمس- أي: من الدنيا وما فيها لما روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول اللّه صلى الله عليه وسلم: «لأن أقول: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر أحبُّ إليّ مما طلعت عليه الشمس». [صحيح مسلم (٢٦٩٥)].

٣- ومنْ فضائلهنّ: ما ثبت في مسند الإمام أحمد، وشعب الإيمان للبيهقي بإسناد جيد عن عاصم بن بَهْدَلة، عن أبي صالح، عن أم هانئ بنت أبي طالب قالت: مَرَّ بي رسول اللّه صلى الله عليه وسلم فقلت: إني قد كبرت وضعفت، أو كما قالت، فمرني بعمل أعمله وأنا جالسة، قال: «سبحي الله مائة تسبيحة، فإنها تعدل لك مائة رقبة تعتقينها من ولد إسماعيل، واحمدي الله مائة تحميدة، تعدل لك مائة فرس مسرجة ملجمة تحملين عليها في سبيل الله، وكبري الله مائة تكبيرة فإنها تعدل لك مائة بدنة مقلدة متقبلة، وهللي مائة تهليلة». قال ابن خلف- الراوي عن عاصم-: أحسبه قال: «تملأ ما بين السماء والأرض، ولا يرفع يومئذ لأحد عملٌ إلا أن يأتي بمثل ما أتيت به». [المسند (٦/٣٤٤)]. قال المنذري: رواه أحمدُ بإسناد حسن، وحسن إسناده العلامة الألباني رحمه الله.

وتأمل هذا الثواب العظيم المترتب على

هؤلاء الكلمات، فمن سبح الله مائة، أي قال: سبحان الله مائة مرة فإنها تعدل عتق مائة رقبةٍ من ولد إسماعيل، وخصصً بني إسماعيل بالذكر لأنهم أشرفُ العرب نسبًا، ومن حمِد الله مائةً، أي من قال: الحمد لله مائة مرةٍ كان له من الثواب مثلُ ثواب من تصدق بمائة فرس مسرجة ملجمةٍ، أي عليها سراجها ولجامها لحمل المجاهدين في سبيل الله، ومن كبَّر الله مائةَ مرةٍ، أي قال: الله أكبر مائةَ مرة كان له من الثواب مثل ثواب إنفاق مائة بدنةٍ مقلَّدةٍ متقبلةٍ، ومن هلَّل مائةً، أي قال: لا إله إلا الله مائة مرةٍ فإنها تملأ ما بين السماء والأرض، ولا يُرْفَعُ لأحدٍ عملٌ إلا أن يأتي بمثل ما أتى به.

٤- ومن فضائل هؤلاء الكلمات: أنَّهن مكفراتٌ للذنوب، فقد ثبت في المسند، وسنن الترمذي، ومسستدرك الحاكم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما على الأرض رجلٌ يقول: لا إله إلا الله، والله أكبر، وسبحان الله، والحمد لله، ولا حول ولا قوة إلا بالله، إلا كَفَرَتْ عنه ذنوبَهُ ولو كانت أكثر من زبدِ البحر». حسنه الترمذي، وصححه الحاكم وأقرَّه الذهبي، وحسنه الألباني.

والمرادُ بالذنوب المُكَفَّرَةِ هنا أي الصغائر، لما ثبت في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول: «الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان، مكفراتٌ ما بينهنَّ إذا اجتنب الكبائر». فقيّد التكفير باجتناب الكبائر؛ لأن الكبيرة لا يُكفرها إلا التوبة.

وفي هذا المعنى ما رواه الترمذي وغيره عن أنس بن مالك رضي الله عنه: أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم مرَّ بشجرةٍ يابسة الورق فضربها بعصاه فتناثر الورقُ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الحمد لله، وسبحان الله، ولا إله إلا الله، والله أكبر لَتُساقط من ذنوب العبد كما تساقط ورقُ هذه الشجرة». وحسنه الألباني.

٥- ومن فضائل هؤلاء الكلمات: أنَّهنَّ غرسُ الجنة، روى الترمذي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لقيتُ إبراهيم ليلةَ أسري بي، فقال: يا محمد، أقرئْ أمتك مني السلام، وأخبرهم أنَّ الجنة طيبةُ التربة، عذبةُ الماء، وأنها قيعانٌ، غراسها سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر». [السلسلة الصحيحة (١٠٥)]، وفي إسناد هذا الحديث عبد الرحمن بن إسحاق، لكن للحديث شاهدان يتقوى بهما من حديث أبي أيوب الأنصاري، ومن حديث عبد الله بن عمر.

والقيعانُ جمعُ قاع، وهو المكان المستوي الواسع في وطاةٍ من الأرض يعلوه ماء السماء فيمسكه ويستوي بناته، كذا في النهاية لابن الأثير، والمقصود أنَّ الجنة ينمو غراسها سريعًا بهذه الكلمات كما ينمو غراس القيعان من الأرض ونبتها.

٦- ومن فضائلهن: أنه ليس أحدٌ أفضل عند الله من مؤمن يُعَمَّرُ في الإسلام يكثر تكبيرَهُ وتسبيحَهُ وتهليلَهُ وتحميدَهُ.

روى الإمام أحمد، والنسائي في عمل اليوم والليلة بإسناد حسن عن عبد الله بن شداد: أنَّ نفرًا من بني عُذرة ثلاثةً أتوا النبي صلى الله عليه وسلم فأسلموا، قال: فقال النبيُّ صلى الله عليه وسلم: «من يكفينيهم». قال طلحة: أنا، قال: فكانوا عند طلحة، فبعث النبيُّ صلى الله عليه وسلم بعثًا، فخرج فيه أحدُهم فاستشهد، قال: ثم بعث آخر، فخرج فيهم آخر فاستشهد، قال: ثم مات الثالث على فراشه، قال طلحة: فرأيت هؤلاء الثلاثة الذين كانوا عندي في الجنة، فرأيت الميت على فراشه أمامهم، ورأيت الذي استشهد أخيرًا يليه، ورأيت الذي استشهد أولهم آخرهم، قال: فدخلني من ذلك، قال: فأتيت النبي صلى

الله عليه وسلم فذكرت ذلك له، قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما أنكرت من ذلك، ليس أحدٌ أفضل عند الله من مؤمن يُعَمَّرُ في الإسلام يكثر تكبيره وتسبيحه وتهليله وتحميده». [السلسلة الصحيحة (٦٥٤)].

وقد دلّ هذا الحديثُ العظيمُ على عظم فضل من طالَ عمُره وحسنَ عمله، ولم يزل لسانهُ رطبًا بذكر الله عزّ وجل.

٧- ومن فضائلهنّ: أن الله اختار هؤلاء الكلمات واصطفاهنّ لعباده، ورتّب على ذكر الله بهنّ أجورًا عظيمة، وثوابًا جزيلاً، ففي المسند للإمام أحمد ومستدرك الحاكم بإسناد صحيح من حديث أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنهما: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن الله اصطفى من الكلام أربعًا: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، فمن قال: سبحان الله، كُتب له عشرون حسنة، وحُطّت عنه عشرون سيئة، ومن قال: الله أكبر فمثل ذلك، ومن قال: لا إله إلا الله فمثل ذلك، ومن قال: الحمد لله رب العالمين من قبل نفسه كتبت له ثلاثون حسنة، وحط عنه ثلاثون خطيئة». [صحيح الجامع (١٧١٨)].

وقد زاد في ثواب الحمد عندما يقوله العبد من قبل نفسه عن الأربع؛ لأن الحمد لا يقع غالبًا إلا بعد سبب كأكل أو شرب، أو حدوثِ نعمةٍ، فكأنه وقع في مقابلة ما أسْدِيَ إليه وقت الحمد، فإذا أنشأ العبدُ الحمدَ من قبل نفسه دون أن يدفعه لذلك تجدد نعمةٍ زاد ثوابه.

٨- ومن فضائلهنّ: أنهن جنةٌ لقائلهن من النار، ويأتين يوم القيامة منجيات لقائلهنّ ومقدمات له.

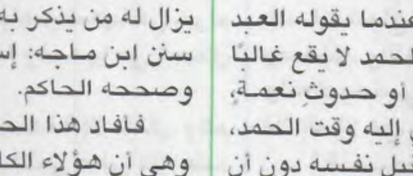

روى الحاكم في المستدرك، والنسائي في عمل اليوم والليلة، وغيرهما. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «خذوا جُنتكم». قلنا: يا رسول الله، من عدو قد حضر؟ قال: «لا، بل جُنتكم من النار، قولوا: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، فإنهنّ يأتين يوم القيامة منجيات ومقدمات، وهنّ الباقيات الصالحات». قال الحاكم: هذا حديثٌ صحيحٌ على شرط مسلم، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني رحمه الله.

وقد تضمن هذا الحديث إضافة إلى ما تقدم وصف هؤلاء الكلمات بأنهنّ الباقيات الصالحات، وقد قال الله تعالى: }وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلاً{ [الكهف: ٤٦].

والباقيات أي: التي يبقى ثوابُها، ويدوم جزاؤها، وهذا خيرُ أمل يؤمله العبد وأفضل ثواب.

٩- ومن فضائلهنّ: أنهنّ ينعطفن حول عرش الرحمن ولهنّ دويٌ كدوي النحل، يذكرن بصاحبهنّ. ففي المسند للإمام أحمد، وسنن ابن ماجه، ومستدرك الحاكم عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنّ مما تذكرون من جلال الله التسبيح والتكبير والتهليل والتحميد، ينعطفن حول العرش لهنّ دويٌ كدوي النحل تذكر بصاحبها، أما يحب أحدكم أن يكون له، أو لا يزال له من يذكر به؟». قال البوصيري في زوائد سنن ابن ماجه: إسناده صحيح، رجاله ثقات، وصححه الحاكم.

فأفاد هذا الحديث هذه الفضيلة العظيمة، وهي أن هؤلاء الكلمات الأربع ينعطفن حول العرش أي يملن حوله، ولهنّ دويٌ كدوي النحل، أي: صوتٌ يشبه صوت النحل يذكرن بقائلهنّ، وفي هذا أعظم حضٍّ على الذكر بهذه الألفاظ.

ولهذا قال في الحديث: «الا يحب أحدكم أن يكون له أو يزال له مَنْ ذَكَّر به».

١٠- ومن فضائلهنّ: أن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر أنهنّ ثقيلاتٌ في الميزان.

روى النسائي في عمل اليوم والليلة، وابن حبان في صحيحه، والحاكم، وغيرُهم عن أبي سلمة رضي الله عنه قال: سمعت رسول

الله صلى الله عليه وسلم يقول: «بخ بخ- أشار بيده بخمس- ما أثقلهنَّ في الميزان: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، والولدُ الصالح يُتوفى للمرء المسلم فيحتسبه». صححه الحاكم، ووافقه الذهبي، وللحديث شاهد من حديث ثوبان رضي الله عنه، خرجه البزار في مسنده، وقال: إسناده حسن.

وقوله في الحديث: «بخ بخ» هي كلمةٌ تُقال عند الإعجاب بالشيء وبيان تفضيله.

١١- ومنْ فضائل هؤلاء الكلمات: أنَّ للعبد بقول كلِّ واحدةٍ منهنَّ صدقة.

روى مسلمٌ في صحيحه عن أبي ذر رضي الله عنه أن ناسًا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله، ذهب أهلُ الدثور بالأجور، يصلون كما نصلي، ويصومون كما نصوم، ويتصدقون بفضول أموالهم، قال: «أوليس قد جعل الله لكم ما تصدقون؟ إنَّ بكلِّ تسبيحة صدقة، وكل تكبيرة صدقة، وكل تحميدة صدقةً، وكل تهليلة صدقةً، وأمر بالمعروف صدقة، ونهي عن منكر صدقة، وفي بضع أحدكم صدقةٌ». قالوا: يا رسول الله، أيأتي أحدُنا شهوته ويكون له فيها أجرٌ؟ قال: «أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليها وزرٌ؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر».

وقد ظنَّ الفقراءُ ألاَّ صدقة إلا بالمال، وهم عاجزون عن ذلك، فأخبرهم النبي صلى الله عليه وسلم أن جميع أنواع فعل المعروف والإحسان صدقة، وذكر في مقدمة ذلك هؤلاء الكلمات الأربع: «سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر».

١٢- ومنْ فضائل هؤلاء الكلمات: أن النبيِ صلى الله عليه وسلم جعلهنَّ تجزئ عن القرآن الكريم في حق من لا يحسنه.

روى أبو داود والنسائي، والدارقطني، وغيرُهم عن ابن أبيِ أوفى رضي الله عنهما قال: جاء رجلٌ إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله، إني لا أستطيع أن أتعلم القرآن، فعلمني شيئًا يجزيني. قال: «تقول: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله». فقال الأعرابي: هكذا، وقبض يديه، فقال: هذا لله، فما لي؟ قال: تقول: «اللهم اغفر لي وارحمني وعافني وارزقني واهدني». فأخذها الأعرابي وقبض كفيه، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «أمَّا هذا فقد ملأ يديه بالخير».

قال المحدث أبو الطيب العظيم آبادي في تعليقه على سنن الدارقطني: سنده صحيح. وقال الألباني رحمه الله: سنده حسن.

فهذه بعض الفضائل الواردة في السنة النبوية لهؤلاء الكلمات الأربع، ومن يتأمل هذه الفضائل المتقدمة يجد أنها عظيمةٌ جدًا، ودالةٌ على عظم قدر هؤلاء الكلمات، ورفعة شأنهنَّ، وكثرة فوائدهنَّ، وعوائدهنَّ على العبد المؤمن، ولعلَّ السر في هذا الفضل العظيم- والله أعلم- ما ذكر عن بعض أهل العلم أنَّ أسماء الله تبارك وتعالى كلها مندرجة في هذه الكلمات الأربع، فسبحان الله يندرج تحت أسماء التنزيه كالقدوس، والسلام، والحمد لله مشتملة على إثبات أنواع الكمال لله تبارك في أسمائه وصفاته، والله أكبر فيها تكبير الله وتعظيمه، وأنه لا يحصي أحدٌ الثناء عليه، ومن كان كذلك فلا إله إلا هو، أي لا معبود بحق سواه.

فالتسبيحُ: تنزيهٌ لله عن كلِّ ما لا يليق به، والتحميدُ: إثباتٌ لأنواع الكمال لله في أسمائه وصفاته وأفعاله، والتهليلُ: إخلاصٌ وتوحيدٌ لله وبراءة من الشرك، والتكبير: إثبات لعظمةِ الله، وأنه لا شيء أكبرُ منه.

فلله ما أعظم هؤلاء الكلمات، وما أجلَّ شأنهن، وما أكبر الخير المترتب عليهنَّ، فنسأل الله أن يوفقنا للمحافظة والمداومة عليهنَّ، وأن يجعلنا من أهلهنَّ الذين ترطَّبت ألسنتهم بهن، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين

جماعة أنصار السنة المحمدية تأسست عام ١٣٤٥هـ ـ ١٩٢٦م

١ ـ الدعوة إلى التوحيد الخالص المطهر من جميع الشوائب. وإلى حب الله تعالى حباً صحيحًا صادقاً يتمثل فى طاعته وتقواه، وحب رسول الله ﷺ حباً صحيحاً صادقاً يتمثل فى الاقتداء به واتخاذه أسوة حسنة.

●●●

٢ ـ الدعوة إلى أخذ الدين من نبعيه الصافيَيْن ـ القرآن والسنة الصحيحة ـ ومجانبة البدع والخرافات ومحدثات الأمور.

●●●

٣ ـ الدعوة إلى ربط الدنيا بالدين بأوثق رباط ـ عقيدة وعملاً وخلقاً.

●●●

٤ ـ الدعوة إلى إقامة المجتمع المسلم والحكم بما أنزل الله فكل مُشرِّع غيره ـ في أي شأن من شئون الحياة ـ معتدٍ عليه سبحانه ، منازعٌ إياه في حقوقه.

تُلقَى بدار المركز العام للجماعة محاضرات دينية مساء الأحد والأربعاء من كل أسبوع.

إنا لله وإنا إليه راجعون

فقدت جماعة أنصار السنة المحمدية بالمحلة الكبرى يوم الخميس ٢٤ جمادى الأولى ١٤٢٤هـ الموافق ٢٤ / ٧ / ٢٠٠٣ م واحدًا من رجالات الجماعة الذين أبلوا في الدعوة بلاءً حسنًا ، وكانت له بصمات وأياد بيضاء، ندعوا الله العلي القدير أن يجعلها في ميزان حسناته، وهو الشيخ كامل عبد الرشيد النادي وشهرته كمال النادي عضو مجلس إدارة فرع المحلة الكبرى - غربية -.

وجماعة أنصار السنة المحمدية بالمركز العام وفروعه عامة وأسرة تحرير مجلة التوحيد تدعو الله العلي القدير أن يرحمه رحمة واسعة، وأن يحشره مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقًا.

دعوة لنشر التوحيد عبر مجلة

التوحيد

الحمد لله وبعـــد :

إن وسائل الإعلام في كثير من البلدان في غالب الأحيان صارت عوامل هدم للمجتمعات. فكثير من المفاهيم الشرعية والمعرفية استطاعت وسائل الإعلام تزييفها وتغييرها، ومن هنا سارعت دول الكفر والمذاهب الهدامة إلى السيطرة على زمام تلك الوسائل لتبث من خلالها سمومها التي أشربتها كثير من القلوب فسقطت صرعى وهلكى، أو مرضى في طريق سيرها إلى الله والدار الآخرة، وكان من نتائج ذلك محاولات هدم أركان العقيدة ومحاربة الفضيلة ونشر الرذيلة والفاحشة.

فعُبدت القبور وذبحت القرابين لغير الله عز وجل، وانتشر السحر والسحرة واتُّبعت الشهوات وكثرت المنكرات، لكن سرعان ما تنبه العقلاء من المسلمين للخطر الداهم فسارعوا إلى معالجة المرضى وإنقاذ الهلكى، فكان من جهودهم هذه المجلة الغراء - مجلة التوحيد - منبر الدعوة السلفية بمصر، والتي عملت على نشر التوحيد منذ أكثر من ثلاثين عاماً.

ومن هذا المنطلق ندعوكم أيها الأخوة - حفظكم الله - إلى نشر التوحيد عبر مجلة التوحيد بتوزيعها بالداخل؛ السنة الكاملة بـ ١٥ ريالاً أو ١٥ جنيهاً مصرياً فقط قيمة اشتراك يُهدى إلى معلم أو واعظ يؤثر في مجتمعه، و٢٠ دولاراً قيمة اشتراك خارجي يُهدى إلى من يحتاج إلى من ينير له الطريق. فلا تحرم نفسك يا أخي من السُّنة الحسنة والأجر الجزيل.

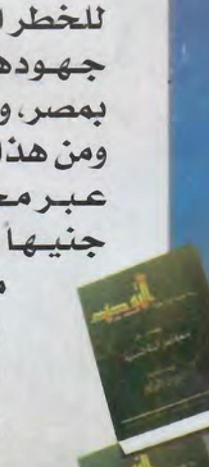

قال ﷺ : « من دعا إلى هُدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه ».

ويمكن المشاركة بدعم المجلة بعمل حوالة أو شيك مصرفي على بنك فيصل الإسلامي فرع القاهرة حساب رقم ١٩١٥٩٠ باسم مجلة التوحيد - أنصار السنة. وفقنا الله وإياكم لما يحبه ويرضاه.

أسرة مجلة التوحيد